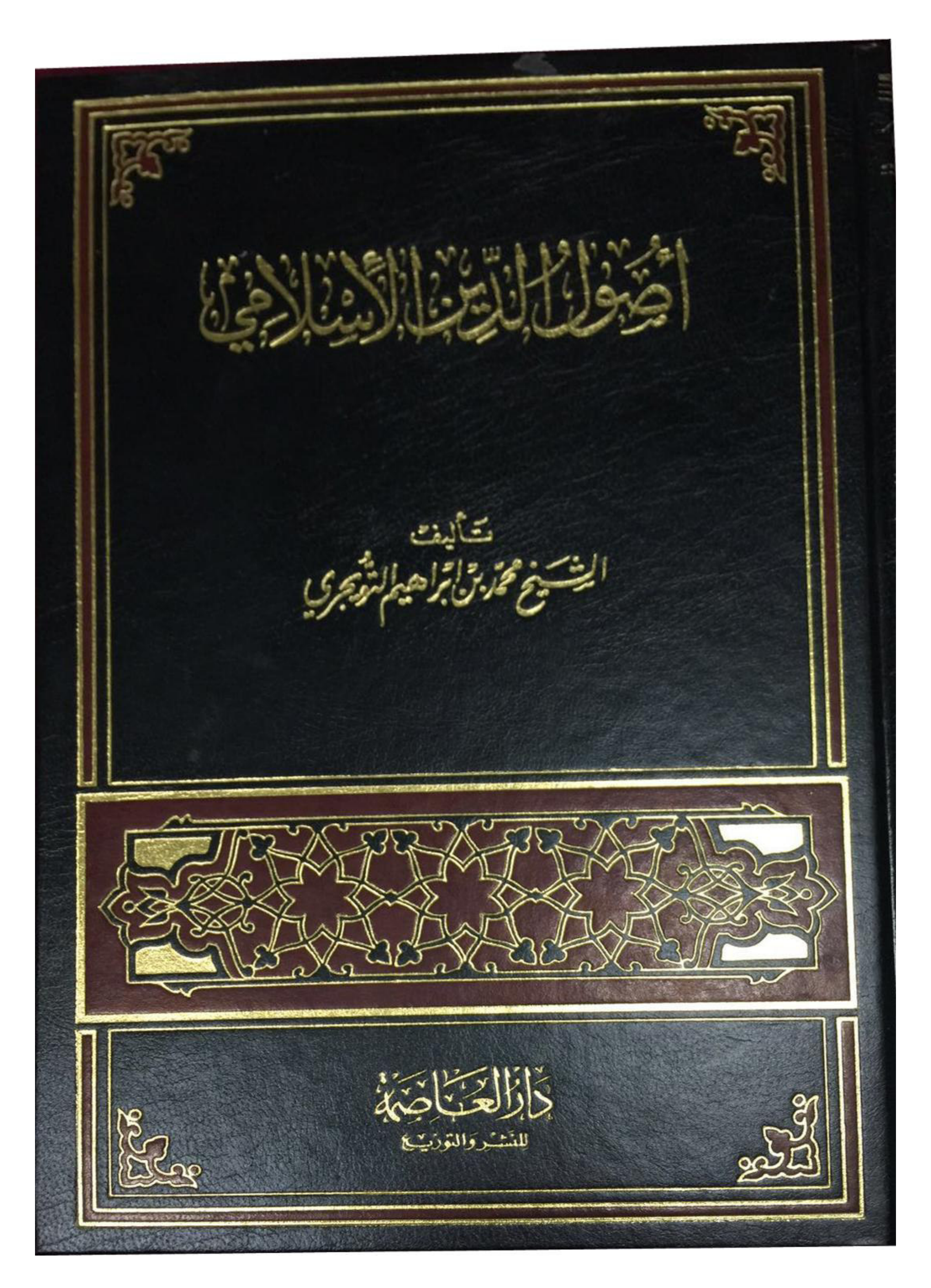

أصول الدين الإسلامي
تأليف
الشيخ محمد بن ابراهيم التويجري
دار العاصمة
للنشر والتوزيع

أصول الدين الإسلامي

تأليف

الشيخ محمد بن ابراهيم التويجري

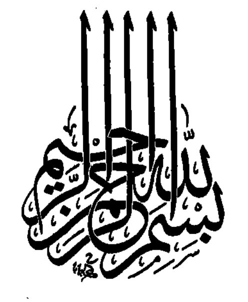



أصول الدين الإسلامي

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى ١٤١٤هـ

دار العاصمة
المملكة العربية السعودية
الرياض - ص ب ٤٢٥٠٧ - الرمز البريدي ١١٥٥١
هاتف ٤٩١٥١٥٤ - ٤٩٣٣٣١٨ - فاكس ٤٩١٥١٥٤


بسم الله الرحمن الرحيم

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يُرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد. حتى جلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه وقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام: فقال رسول الله ﷺ: «الإسلام أن تشهد أن لا إله إلاَّ الله وأن محمداً رسول الله. وتقيم الصلاة. وتؤتي الزكاة. وتصوم رمضان. وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً».

قال: صدقت. قال: فعجبنا له. يسأله ويصدقه. قال: فأخبرني عن الإيمان. قال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره».

: صدقت.

قال: فأخبرني عن الإحسان. قال: «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك». قال: فأخبرني عن الساعة.

قال: «ما المسؤل عنها بأعلم من السائل». قال: فأخبرني عن أماراتها. قال: أن تلد الأمة ربتها. وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان».

قال: ثم انطلق. فلبثت ملياً. ثم قال لي: «يا عمر أتدري من السائل؟» قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم»[1].

---

(١) رواه مسلم برقم «٨».

مقـدّمة

إن الحمـد لله نحمده ونستعينـه ونستغفره، ونتـوب إليه، ونعـوذ بالله من شـرور أنفسنا وسيئـات أعمالنـا، من يهده الله فـلا مضل لـه، ومن يضلل فـلا هادي له،

وأشهـد أن لا إلـه إلَّا الله وحـده لا شـريـك لـه الـرب الملك الـرؤوف الرحيم. وأشهد أن محمداً عبده ورسـوله، بعثـه الله رحمة للعـالمين، وأرسله إلى الناس أجمعين، صلى الله عليه وعلى آلـه وأصحابـه ومن تبعهم بإحسـان إلى يوم الدين. .

أمَّـا بـعـد:

- فـإن الله خلق الخلق. . وأسكنهم في الأرض. . ورزقهم من الـطيبـات. . وأنـزل عليهم الكتب. . وأرسـل إليهم الـرسـل، يـدعـونهم إلى عبـادة الله وحده. . ويهدونهم إلى الصراط المستقيم. . ويخرجونهم من الظلمات إلى النور بإذن ربهم.
- وقـد ارتضى الله للنـاس دينـاً خـاتمـاً، هـو الإسـلام، الـذي بعث الله بـه محمـداً ﷺ، واكمله لهذه الأمـة كمـا قـال سبحـانـه: ﴿اليـوم اكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾ [التوبة/٣].

- وقد ختم الله الأنبياء والرسل ببعثة محمد ﷺ، الذي أرسله الله للناس كافة.. وأنزل عليه القرآن، وحفظه من التحريف والزيادة والنقصان.

- فَبَلَّغَ رسول الله الرسالة.. وأدى الأمانة.. ونصح الأمة.. وجاهد في سبيل الله حتى ترك الأمة على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلاَّ هالك.

- وتوفى عليه الصلاة والسلام وترك للأمة ما يسعدهم في الدنيا والآخرة كتاب الله.. وسنة رسول الله.. فمن أخذ بهما أفلح وسعد في الدنيا والآخرة.. ومن أعرض عنهما خسر وشقي في الدنيا والآخرة..

- وقد أمرنا الله ورسوله بإبلاغ هذا الدين إلى الناس كافة.. ليحل الإيمان محل الكفر.. والحق مكان الباطل.. والخير مكان الشر.

- ولما كان الإنسان ضعيفاً.. يغلبه الهوى والنسيان.. ويزين له الشيطان وجنوده ما يضره.. فيتعرض لمعصية الله.. ويُقَصِّر في أداء الواجبات.. أو يقع في المحرمات.. وكذلك لما كان المؤمنون أخوة، يحب بعضهم بعضاً.. ويوصى بعضهم بعضاً فيما ينفعهم في الدنيا والآخرة.. وقياماً بواجب الدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر..

- لذا رأيت أن أضع هذا الكتاب.. تذكرة لنفسي.. ونصحاً لإخواني المسلمين في كل مكان.. وبياناً لدين الإسلام.. وسميته «أصول الدين الإسلامي».

- وقد يسر الله بمنه وكرمه وتوفيقه إعداد هذا الكتاب.. وجمع مادته من كتاب الله الكريم.. وما صح من سنة رسول الله ﷺ مما اتفق عليه البخاري ومسلم عليهما رحمة الله.. أو مما صح عند أحدهما.

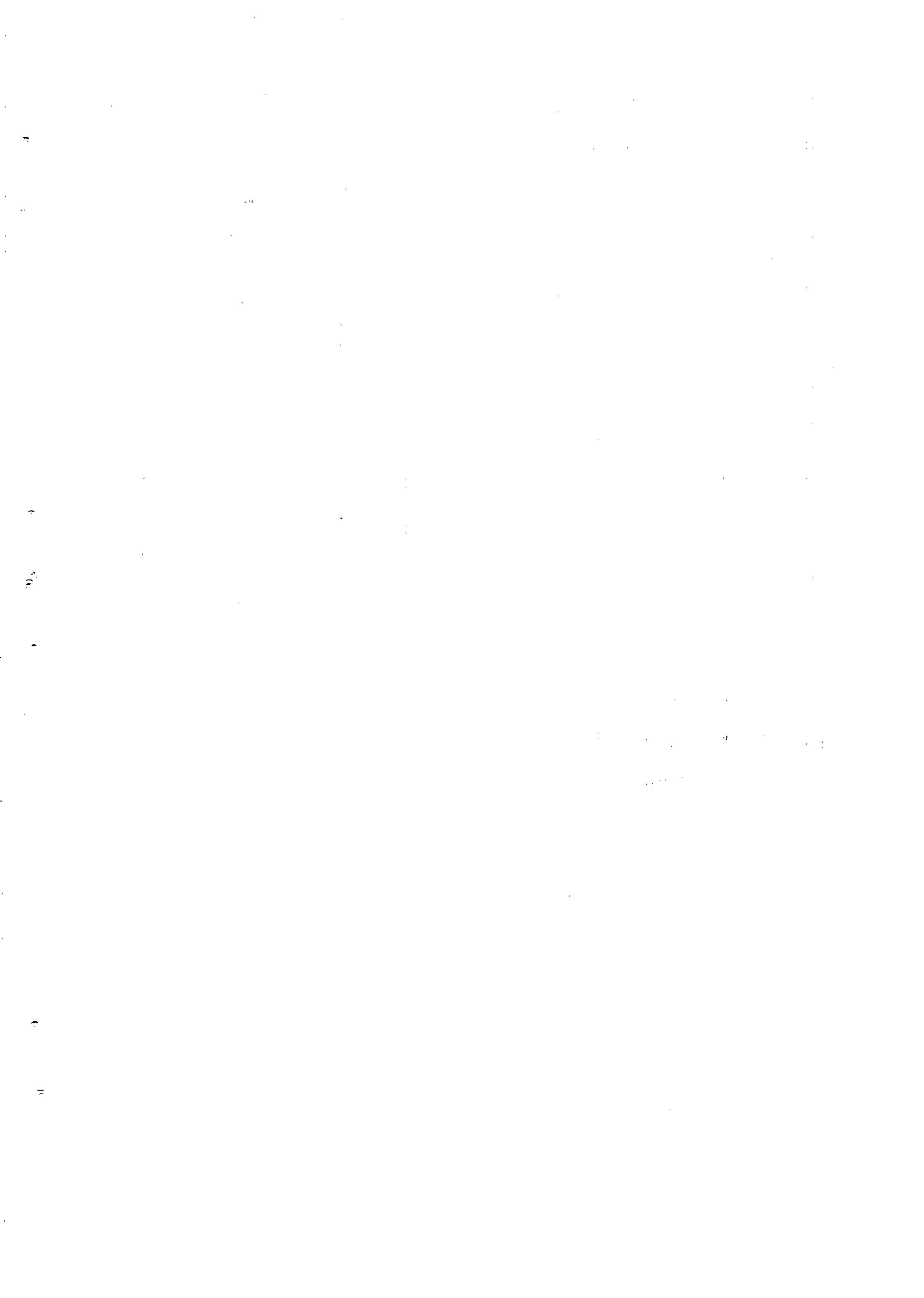
- وقد تم ذكر كل فائدة مع دليلها من الكتاب والسنة الصحيحة أو من أحدهما مع الإشارة إلى اسم السورة.. ورقم الآية.. ورقم الحديث عند البخاري أو مسلم عليهما رحمة الله.
- وقد جاء الكتاب بفضل الله مشتملاً على أهم أصول الدين الإسلامي من الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه ورسله، واليوم الآخر، والقضاء والقدر وغيرها وذلك فيما يزيد على خمسين باباً من أصول الدين الإسلامي..
- أسأل الله سبحانه أن ينفعني به.. وينفع به المسلمين كافة.. وأن يتقبله مني.. وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم.. وأن يغفر الزلات.. ويقيل العثرات، كما أسأله سبحانه أن يغفر لمن كتبه، وقرأه، وأعان على نشره. وأن يجزي الجميع خير الجزاء إنه نعم المولى.. ونعم النصير.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

كتبه الفقير إلى عفو ربه

محمد بن إبراهيم التويجري

السعودية / بريدة



ربُّ العالمين

الله وحده هو الرب الخالق الرازق.. المالك المتصرف.. العليم الحكيم.. الحي القيوم.. السميع البصير.. اللطيف الخبير.. الرحمٰن الرحيم.. الحليم الغفور.. العزيز الجبار.. العفو الكريم.. القوي القادر.. البارئ المصور..

- له ملك السمٰوات والأرض بيده الخير وهو على كل شيء قدير.
- لا إله إلَّا هو له الأسماء الحسنىٰ والصفات العلىٰ.. ﴿الله لا إله إلَّا هو له الأسماء الحسنىٰ﴾ [طه/٨].
- يفعل ما يشاء.. ويحكم ما يريد.. ﴿وربك يخلق ما يشاء، ويختار﴾.. [القصص/٦٨].
- مالك الملك.. يعز من يشاء.. ويذل من يشاء.. ﴿قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء، وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير﴾ [آل عمران/٢٦].
- هو يحيي ويميت، ولا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء.. ﴿والله يحيي ويميت والله بما تعملون بصير﴾ [آل عمران/١٥٦].
- له الخلق والأمر وحده.. ﴿ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين﴾ [الأعراف/٥٤].

- هـو الأول فليس قبله شيء.. والآخر فليس بعـده شيء.. والـظاهـر فليس فـوقه شيء.. والبـاطن فليس دونـه شيء.. ﴿هـو الأول والآخـر والـظاهـر والباطن وهو بكل شيء عليم﴾ [الحديد/٣].
- خـالق كل شيء وهـو بكـل شيء عليم.. ﴿ذلكم الله ربكم لا إلـه إلَّا هـو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على شيء وكيل﴾ [الأنعام/١٠٢].
- لـطيف عـظيم محيط بكـل شيء.. ﴿وكـان الله بكـل شيء محيـطاً﴾ [النساء/١٢٦].
- حي قيوم.. له ما في السمٰوات وما في الأرض.. لا يخفى عليـه شيء.. ولا يعجـزه شيء.. ولا يحيط به شيء.. ﴿الله لا إلـه إلَّا هو الحي القيـوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السمٰوات وما في الأرض من ذا الذي يشفـع عنده إلَّا بإذنه يعلم ما بين أيـديهم وما خلفهم ولا يحيـطون بشيء من علمه إلَّا بما شاء وسـع كرسيـه السمٰوات والأرض ولا يؤوده حفظهـما وهو العلي العظيم﴾ [البقرة/٢٥٥].
- علم كـل شيء وأحصـاه.. ﴿وكـل شيء أحصينـاه في إمـام مـبيـن﴾ [يس/١٢].
- جـواد كـريم.. الـرزق كله منـه.. ﴿ومـا من دابـة في الأرض إلَّا على الله رزقها﴾ [هود/٦].
- نعمه لا تعد ولا تحصىٰ.. ﴿وآتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا نعمـة الله لا تحصوها﴾ [إبراهيم/٣٤].
- وخـزائنـه مـلأت الأرض والسمـاء.. ﴿ولله خـزائن السمٰوات والأرض﴾ [المنافقون/٧].

- غني حميد يعطى العباد ولا تنقضي خزائنه. . ﴿يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد﴾ [فاطر/١٥].
- عفو غفور يرحم عباده ويتجاوز عن سيئاتهم. . ﴿إن الله لعفو غفور﴾ [الحج/٦٠].
- عالم الغيب والشهادة. . عزيز في ملكه. . حكيم في تدبيره. . ﴿عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم﴾ [التغابن/١٨].
- يعلم السر والجهر وما يخفى. . ﴿وهو الله في السمٰوات وفي الأرض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون﴾ [الأنعام/٣].
- لطيف خبير. . ﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير﴾ [الأنعام/١٠٣].
- واحد في ذاته وصفاته وأفعاله. . ﴿قل هو الله أحد * الله الصمد * لم يلد ولم يولد * ولم يكن له كفواً أحد﴾ [الإخلاص/١ ــ ٤].
- سبحانه له الأسماء الحسنىٰ والصفات العلىٰ لا شريك له. . ﴿ذلكم الله ربكم له الملك لا إله إلَّا هو فأنىٰ تصرفون﴾ [الزمر/٦].
- ومن هذا ملكه. . وهذه صفاته. . وهذا خلقه. . وهذه نعمه. . هو الذي يستحق الحمد والشكر. . وإخلاص العبادة له وحده دون سواه. . ؟ ﴿إن ربكم الله الذي خلق السمٰوات والأرض في ستة أيام ثم استوىٰ على العرش يدبر الأمر ما من شفيع إلَّا من بعد إذنه ذلكم الله ربكم فأعبدوه أفلا تذكرون﴾ [يونس/٣].
- خلق فسوى. . وقدر فهدى. . ورزق فأغنىٰ. . ﴿الله الذي جعل لكم الأرض قراراً والسماء بناء وصوركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين﴾ [غافر/٦٤].

- اللهم لك الحمد على الملك العظيم.. ﴿الحمد لله الذي له ما في السمٰوات وما في الأرض﴾ [سبأ/١].

- اللهم لك الحمد على الخلق العظيم.. ﴿الحمد لله الذي خلق السمٰوات والأرض﴾ [الأنعام/١].

- اللهم لك الحمد هديتنا للإسلام.. وأنزلت علينا القرآن.. ورزقتنا من الطيبات.. وجعلتنا خير الأمم.. وأكرمتنا بوافر النعم.. لا إله إلاَّ أنت، لك الملك.. ولك الخلق والأمر.. ولك الفضل كله.. ولك الحمد كله.. ﴿الحمد لله رب العالمين * الرحمن الرحيم * مالك يوم الدين * إياك نعبد وإياك نستعين﴾ [الفاتحة/٢ ــ ٥].

● ● ● ● ●

وحدانية الله

- إن الكون كله خلقاً وتدبيراً يشهد بوحدانية الله.. ﴿ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين﴾ [الأعراف/٥٤].
- خلقُ السمٰوات والأرض.. واختلافُ الليل والنهار.. وأصناف الجماد والنبات والثمار.. وخلق الإنسان والحيوان.. كل ذلك يدل على أن الخالق العظيم واحد لا شريك له.. ﴿ذلكم الله ربكم خالق كل شيء لا إله إلاَّ هو فأنى تؤفكون﴾ [غافر/٦٢].
- وتنوع هذه المخلوقات وعظمتها.. وإحكامها واتقانها.. وحفظها وتدبيرها كل ذلك يدل على أن الخالق واحد يفعل ما يشاء.. ويحكم ما يريد.. ﴿الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل﴾ [الزمر/٦٢].
- وكل ما سبق يدل على أن لهذا الخلق خالق.. ولهذا الملك مالك.. ووراء الصورة مصور.. ﴿هو الله الخالق البارىء المصور له الأسماء الحسنىٰ﴾ [الحشر/٢٤].
- وصلاح السمٰوات والأرض.. وانتظام الكون.. وانسجام المخلوقات مع بعضها.. يدل على أن الخالق واحد لا شريك له.. ﴿لو كان فيهما آلهة إلاَّ الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون﴾ [الأنبياء/٢٢].
- وهذه المخلوقات العظيمة، إما أنها خلقت نفسها وهذا محال.. أو أن الإنسان خلق نفسه، ثم خلقها وهذا محال أيضاً.. ﴿أم خُلقوا من غير

شيء أم هم الخالقون أم خُلقوا السمٰوات والأرض بل لا يوقنون﴾ [الطور/٣٥ ـ ٣٦].

- وقد دل العقل والوحي والفطرة على أن لهذا الوجود موجد.. ولهذه المخلوقات خالق.. حي قيوم.. عليم خبير.. قوي عزيز.. رؤوف رحيم له الأسماء الحسنى والصفات العلىٰ.. عليم بكل شيء.. لا يعجزه شيء ولا يشبهه شيء.. ﴿وآلهكم إله واحد لا إله إلاَّ هو الرحمٰن الرحيم﴾ [البقرة/١٦٣].

- ووجود الله معلوم بالضرورة وبداهة العقول.. ﴿قالت رسلهم أفى الله شك فاطر السمٰوات والأرض﴾ [إبراهيم/١٠].

- وقد فطر الله الناس على الإقرار بربوبيته ووحدانيته، ولكن الشياطين جاءت إلى بني آدم.. وصرفتهم عن دينهم.. وفي الحديث القدسي «إني خلقت عبادي حنفاء كلهم وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم»[1].

- فمنهم من أنكر وجود الله.. ومنهم يعبد الشيطان.. ومنهم من يعبد الإنسان.

- ومنهم من يعبد الدينار أو النار أو الفرج أو الحيوان.

- ومنهم من أشرك به حجراً من الأرض.. أو كوكباً في السماء.

- وهذه المعبودات من دون الله.. لم تخلق ولم ترزق.. ولا تسمع ولا تبصر ولا تنفع ولا تضر.. فكيف يعبدونها من دون الله ﴿أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار﴾ [يوسف/٣٩].

---

(١) رواه مسلم برقم ٢٨٦٥.

- «وقد نعىٰ الله على من عبد تلك الأصنام التي لا تسمع ولا تبصر ولا تعقل بقوله ﴿إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين * ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون بها أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم آذان يسمعون بها﴾ [الأعراف/١٩٤ ـ ١٩٥]. وقوله ﴿قل أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضراً ولا نفعاً والله هو السميع العليم﴾ [المائدة/٧٦].
- ألا ما أجهل الإنسان بربه الذي خلقه ورزقه.. كيف يجحده وينساه ويعبد غيره.. ﴿فإنها لا تعمىٰ الأبصار ولكن تعمىٰ القلوب التي في الصدور﴾ [الحج/٤٦].
- فسبحان الله وتعالىٰ عما يشركون.. والحمد لله رب العالمين.. ﴿قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى الله خير أما يشركون * أمن خلق السمٰوات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أءله مع الله بل هم قوم يعدلون * أمن جعل الأرض قراراً وجعل خلالها أنهار وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزاً أءله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون * أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أءله مع الله قليلاً ما تذكرون أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته أءله مع الله تعالى الله عما يشركون * أمن يبدؤ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض أءله مع الله قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين﴾ [النمل/٥٩ ـ ٦٤].

●●●●●

للّـه الخلـق والأمـر

● إن الله سبحـانه وتعـالى خلق كل شيء ومن ذلـك خلقُ السمٰوات والأرض ومـا فيهما ومـا عليهمـا ومـا بينهمـا. . من السمٰوات الـطبـاق. . والأرضين المهـاد. . والكواكب النيـرة. . والنجـوم المضيئـة. . والجبـال الـراسيـة. . والمعادن المتنوعة. . والأشجار المختلفة. . والمياه النـافعة. . والحيـوانات المختلفة. . والرياح المتجددة. . والمـلائكة العـظام. . والإنس والجان. . والطير والحيـوان. . والجماد والنبـات. . ﴿هذا خلق الله فـأروني ماذا خلق الذين من دونه﴾ [لقمان/١١].

● إن هذه المخلوقات العظيمة تدل على عظمة الخالق. . وكثـرتها تـدل على قـدرة الخالق. . وألـوانها وأجنـاسها تـدل على خبـرة الخـالق. . واختـلاف وظائفها ومنافعها يدل على حكمة الخـالق. . وحفظهـا وتدبيـرها يـدل على حيـاة الخالق وعلمـه وقدرتـه وقوتـه. . وذلك هـو ﴿الله لا إله إلاَّ هـو الحي القيوم﴾ [البقرة/٢٥٥].

● إنه ربنا الذي علم كل شيء. . وملك كل شيء. . وخلق كل شيء. . ﴿إن ربكم الله الـــذي خلق السمٰوات والأرض في ستـة أيـــام ثم استـــوى على العرش يغشي الليل النهار يطلبـه حثيثاً والشمس والقمـر والنجوم مسخـرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين﴾ [الأعراف/٥٤].

● سبحـانه لـه الأسماء الحسنىٰ والصفـات العلىٰ. . ما شـاء كان ومـا لم يشاء

لم يكن، لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء. . ﴿إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون﴾ [يس/٨٢].

● ربنا على كل شيء قدير يخلق ما يشاء كيف شاء ﴿والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع يخلق الله ما يشاء إن الله على كل شيء قدير﴾ [النور/٤٥].

● ربنا قوي عزيز. . ﴿خلق السمٰوات بغير عمد ترونها وألقىٰ في الأرض رواسي أن تميد بكم وبث فيها من كل دابة وأنزلنا من السماء ماءً فأنبتنا فيها من كل زوج كريم﴾ [لقمان/١٠].

● ربنا بكل شيء عليم. . ﴿ألم تر أن الله يعلم ما في السمٰوات وما في الأرض ما يكون من نجوىٰ ثلاثة إلَّا هو رابعهم ولا خمسة إلَّا هو سادسهم ولا أدنىٰ من ذلك ولا أكثر إلَّا هو معهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم﴾ [المجادلة/٧].

● ربنا الذي خلقنا وخلق أرزاقنا. . ﴿يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض لا إلـه إلَّا هو فأنىٰ تؤفكون﴾ [فاطر/٣].

● ربنا لطيف خبير. . ﴿يا بُنيَّ إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السمٰوات أو في الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير﴾ [لقمان/١٦].

● ربنا عليم قدير. . ﴿لله ملك السمٰوات والأرض يخلق ما يشاء، يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم ذكراناً وإناثاً ويجعل من يشاء عقيماً إنه عليم قدير﴾ [الشورى/٤٩ ـ ٥٠].

● ربنا جواد كريم. . ﴿الله الذي جعل لكم الأرض قراراً والسماء بناءً وصوركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين﴾ [غافر/٦٤].

● ربنا حكيم عليم. . ﴿وهو الذي جعل لكم الليل لباساً والنوم سباتاً وجعل النهار نشوراً * وهو الذي أرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته وأنزلنا من السماء ماء طهوراً * لنحيي به بلدة ميتاً ونسقيه مما خلقنا أنعاماً وأناسى كثيراً﴾ [الفرقان/٤٧ ــ ٤٩].

● ربنا الذي خلق البشرية كلها من نفس واحدة. . ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء﴾ [النساء/١].

● ربنا قوي قدير. . ﴿إن الله يمسك السمٰوات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده إنه كان حليماً غفوراً﴾ [فاطر/٤١].

● ربنا خالق كل شيء. . ﴿الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل﴾ [الزمر/٦٢].

● ربنا محيط بكل شيء. . ﴿وكان الله بكل شيء محيطاً﴾ [النساء/١٢٦].

● الأمر كله لله. . ﴿لله الأمر من قبل ومن بعد﴾ [الروم/٤].

● وتدبير الأمور بيد الله. . ﴿ولله غيب السمٰوات والأرض وإليه يرجع الأمر كله﴾ [هود/١٢٣].

● أمرنا الله ألا نعبد إلَّا إياه، ولا نحتكم لأحد سواه. . ﴿إن الحكم إلَّا لله أمر ألا تعبدوا إلَّا إياه﴾ [يوسف/٤٠].

● أمرنا الله بطاعته، وطاعة رسوله ﷺ بقوله ﴿وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون﴾ [آل عمران/١٣٢].

- أمرنا الله بالأخلاق الحسنة. . ونهانا عن الأخلاق السيئة بقوله ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون﴾ [النحل/٩٠].
- أمرنا الله بالتعاون على الخير، وحذرنا من كل شر بقوله ﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الأثم والعدوان﴾ [المائدة/٢].
- الخلق والأمر والملك لله وحده. . ﴿لله ملك السمٰوات والأرض وما فيهن وهو على كل شيء قدير﴾ [المائدة/١٢٠].
- والقلوب مفطورة على الإقرار بأن الملك والخلق لله وحده دون سواه. . ﴿قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون * سيقولون لله قل أفلا تذكرون * قل من رب السمٰوات السبع ورب العرش العظيم * سيقولون لله قل أفلا تتقون * قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون * سيقولون لله قل فأنىٰ تسحرون * بل أتيناهم بالحق وإنهم لكاذبون﴾ [المؤمنون/٨٤ ـ ٩٠].
- أيها الناس ألا تجيبون. .؟ . . ﴿قل أرأيتم إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم من إله غير الله يأتيكم به﴾ [الأنعام/٤٦].
- أفلا تعقلون. .؟ . . ﴿قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمداً إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون * قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمداً إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون﴾ [القصص/٧١ ـ ٧٢].
- أفلا تفكرون. .؟ . . ﴿أفرءيتم ما تمنون * أءنتم تخلقونه أم نحن الخالقون﴾ [الواقعة/٥٨ ـ ٥٩].
- أفلا تبصرون. .؟ . . ﴿أفرءيتم ما تحرثون * أءنتم تزرعونه أم نحن الزارعون﴾ [الواقعة/٦٣ ـ ٦٤].

- أفلا تنظرون..؟.. ﴿أفرءيتم الماء الذي تشربون * أءنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون * لو نشاء جعلناه أجاجاً فلولا تشكرون * أفرءيتم النار التي تورون * أءنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون * نحن جعلناها تذكرة ومتاعاً للمقوين * فسبح باسم ربك العظيم﴾ [الواقعة/٦٨ ـ ٧٤].
- أفلا تعقلون..؟

من سخر الليل والنهار.. والشمس والقمر.. والكواكب والنجوم.. إنه الله وحده.. كما قال سبحانه.. ﴿وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون﴾ [النحل/١٢].

- وإذا كان الله هو الذي يخلق.. وهو الذي يرزق.. وهو الذي يدبر الأمر.. وهو الذي يعلم كل شيء.. فهو الذي يستحق العبادة دون سواه.. لأنه حي قيوم.. خالق رازق.. عالم قادر.. وغيره عاجز ضعيف.. لا يخلق ولا يرزق.. ولا يملك نفعاً ولا ضرّاً.. ﴿والله يعلم ما تسرون وما تعلنون * والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئاً وهم يُخلقون * أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون * إلٰهكم إلٰه واحد فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون﴾ [النحل/١٩ ـ ٢٢].

● ● ● ● ●

خلـق الإنـسـان

● خلق الله آدم بيده.. ونفخ فيه من روحه.. وأسجد له ملائكته.

● وقـد خلق الله آدم من تراب كمـا قال سبحـانه.. ﴿إن مثـل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تُراب ثم قال له كن فيكون﴾ [آل عمران/٥٩].

● ولما أتم الله خلق آدم أمر الملائكة بالسجود له فسجدوا إلاَّ إبليس فقـد كان حاضراً ولكنـه أبـىٰ واستكبر عن السجـود لآدم.. ﴿إذ قال ربـك للملائكـة إنى خـالق بشراً من طين * فـإذا سـويتـه ونفخت فيـه من روحي فقعـوا لـه ساجدين * فسجـد الملائكـة كلهم أجمعون * إلاَّ إبليس استكبـر وكان من الكافرين﴾ [ص/٧١ ـ ٧٤].

● ثم أخبر الله الملائكـة بأنـه سيجعل آدم خليفـة في الأرض بقولـه.. ﴿وإذا قال ربك للملائكة إنى جاعل في الأرض خليفة﴾
[البقرة/٣٠].

● وعلم آدم جميع الأسماء.. ﴿وعلم آدم الأسماء كلها﴾ [البقرة/٣١].

● ولمـا امتنع إبليس من السجـود لآدم طرده الله ولعنـه.. ﴿قال فـأخرج منهـا فإنك رجيم * وإن عليك لعنتي إلى يوم الدين﴾ [ص/٧٧ ـ ٧٨].

● ولمـا علم إبليس بمصيره سـأل الله أن ينظره إلى يـوم البعث.. ﴿قـال رب فـأنظرني إلى يـوم يبعثون * قـال فـإنـك من المنـظرين * إلى يـوم الـوقت المعلوم﴾ [ص/٧٩ ـ ٨١].

● ولما أعطاه الله ذلك أعلن الحرب على آدم وذريته.. يزين لهم المعاصي.. ويغريهم بالفواحش.. ﴿قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين * إلاَّ عبادك منهم المخلصين﴾ [ص/٨٢ ـ ٨٣].

● وقد خلق الله آدم، وخلق منه زوجته، وجعل من نسلهما الرجال والنساء كما قال سبحانه.. ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء﴾ [النساء/١].

● ثم أسكن الله آدم وزوجه الجنة امتحاناً لهما فأمرهما بالأكل من ثمار الجنة ونهاهما عن شجرة واحدة.. ﴿وقلنا يا آدم أسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين﴾ [البقرة/٣٤ ـ ٣٥].

● وقد حذر الله آدم وزوجه من الشيطان بقوله.. ﴿يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى﴾ [طه/١١٧].

● ثم إن الشيطان وسوس إلى آدم وزوجه.. وأغراهما بالأكل من الشجرة المنهى عنها فنسي آدم وضعفت نفسه.. فعصىٰ ربه.. وأكلا من الشجرة.. ﴿فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى * فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وعصىٰ آدم ربه فغوى﴾ [طه/١٢٠ ـ ١٢١].

● فناداهما ربهما وقال.. ﴿ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين﴾ [الأعراف/٢٢].

● ولما أكلا من الشجرة ندما على فعلهما وقالا.. ﴿ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين﴾ [الأعراف/٢٣].

● وقد كانت معصية آدم عن شهوة لا عن استكبار، لذا أرشده الله إلى التوبة

وقبلها منه.. ﴿فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم﴾ [البقرة/٣٧].

- فكانت هذه سنة جارية لآدم وذريته.. من عصىٰ ثم تاب صادقاً تاب الله عليه.. ﴿وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون﴾ [الشورى/٢٥].

- ثم أهبط الله آدم وزوجه وإبليس إلى الأرض.. وأنزل عليهم الوحي.. وأرسل إليهم الرسل.. فمن آمن دخل الجنة.. ومن كفر دخل النار ﴿قلنا اهبطوا منها جميعاً فإما يأتينكم مني هدىً فمن اتبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون * والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ [البقرة/٣٨ ــ ٣٩].

- ولما أهبط الله الجميع إلى الأرض بدأ الصراع بين الإيمان والكفر.. بين الحق والباطل.. بين الخير والشر وسيبقى إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ﴿قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين﴾ [الأعراف/٢٤].

- والله على كل شيء قدير.. خلق آدم بلا أب ولا أم.. وخلق حواء من أب بلا أم.. وخلق عيسى من أم بلا أب.. وخلقنا من أب وأم.

- وقد خلق الله آدم من تراب.. ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين كما قال سبحانه.. ﴿الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين * ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين * ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون﴾ [السجدة/٧ــ٩].

- وكيفية خلق الإنسان في الرحم.. والمراحل التي يمر بها، في غاية الإعجاز وقد ذكرها الله بقوله ﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم

جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين﴾ [المؤمنون/١٢ ـ ١٤].

- والله وحده يخلق ما يشاء.. ويعلم ما في الأرحام.. ويقدر الأرزاق والآجال ﴿لله ملك السمٰوات والأرض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم ذكراناً وإناثاً ويجعل من يشاء عقيماً إنه عليم قدير﴾ [الشورى/٤٩ ـ ٥٠].

وقال النبي ﷺ «إن الله عز وجل وكل بالرحم ملكاً يقول يا رب نطفة، يا رب علقة، يا رب مضغة فإذا أراد أن يقضي خلقه قال: أذكر أم أنثى؟ أشقى أم سعيد؟ فما الرزق والأجل؟ فيكتب في بطن أمه»(١).

- وقد أكرم الله بني آدم فسخر لهم ما في السمٰوات وما في الأرض.. ﴿ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السمٰوات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة﴾ [لقمان/٢٠].

- وميز الله الإنسان وأكرمه بالعقل الذي يعرف به ربه، وخالقه ورازقه.. ويعرف به الخير والشر.. وما ينفع وما يضر.. وما يحل وما يحرم.

- وما كان الله ليخلق الإنسان ويتركه هملاً بلا منهاج يسر عليه.. بل أنزل الله الكتب.. وأرسل الرسل لهداية البشرية إلى الصراط المستقيم.

- وقد فطر الله الناس على التوحيد.. وكلما انحرفوا عنه بعث الله نبياً يردهم إلى الصراط المستقيم أولهم آدم.. وآخرهم محمد ﷺ ﴿كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه﴾ [البقرة/٢١٣].

---

(١) رواه البخاري برقم ٣١٨.

- وجميع الرسل يدعون إلى حقيقة واحدة هي عبادة الله وحده والكفر بما سواه.. ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾ [النحل/٣٦].
- والدين الذي بعث الله به الأنبياء والرسل واحد هو الإسلام.. ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾ [آل عمران/١٩].
- وقد ختم الله الكتب السماوية بالقرآن العظيم مصدقاً لما قبله من الكتب وهداية للناس كافة.. ﴿كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور﴾ [إبراهيم/١].
- وختم الله الأنبياء والرسل بمحمد ﷺ ﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين﴾ [الأحزاب/٤٠].
- وأرسل الله محمداً إلى الناس كافة.. ﴿قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً﴾ [الأعراف/١٥٨].
- فالقرآن الكريم آخر الكتب السماوية وأعظمها.. ومحمد ﷺ آخر الأنبياء والرسل وأفضلهم..
- وقد نسخ الله جميع الكتب السماوية بالقرآن.. فمن لم يتبع القرآن ويدخل في الإسلام، ويؤمن بالرسول ﷺ ويتبعه فلن يقبل منه عمله.. ﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾ [آل عمران/٨٥].
- والدين الذي جاء به محمد ﷺ مؤكد لما جاء به الأنبياء، قبله في أصول الدين.. ومكارم الأخلاق كما قال سبحانه ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه﴾ [الشورى/١٣].

● ● ● ● ●

القرآن الكريم

- القرآن الكريم هو كلام رب العالمين.. أنزله الله على رسوله محمد ﷺ ليخرج الناس من الظلمات إلى النور.. ﴿هو الذي ينزل على عبده آيات بينات ليخرجكم من الظلمات إلى النور﴾ [الحديد/٩].

- وقد بين الله في القرآن الكريم أخبار الأولين والآخرين.. وخلق السمٰوات والأرضين.. وفصَّل فيه الحلال والحرام.. وأصول الآداب والأخلاق.. وأحكام العبادات والمعاملات.. وسيرة الأنبياء والصالحين.. وجزاء المؤمنين والكافرين.. ووصف الجنة دار المؤمنين.. ووصف النار دار الكافرين وجعله تبياناً لكل شيء.. ﴿ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين﴾ [النحل/٨٩].

- وفي القرآن الكريم بيان لأسماء الله وصفاته ومخلوقاته.. والدعوة إلى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر.. ﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير﴾ [البقرة/٢٨٥].

- وفي القرآن الكريم بيان لأحوال يوم الدين.. وما بعد الموت من البعث والحشر.. والعرض والحساب.. ووصف الحوض والصراط والميزان.. والنعيم والعذاب وجمع الناس لذلك اليوم العظيم.. ﴿الله لا إله إلَّا هو

ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه ومن أصدق من الله حديثاً﴾ [النساء/٨٧].

● وفي القرآن الكريم دعوة إلى النظر والتفكر في الآيات الكونية.. والآيات القرآنية.. ﴿قل أنظروا ماذا في السمٰوات والأرض﴾ [يونس/١٠١].
وقال سبحانه ﴿أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها﴾ [محمد/٢٤].

● والقرآن الكريم كتاب الله إلى الناس كافة.. ﴿إنا أنزلنا عليك الكتاب للناس بالحق فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها وما أنت عليهم بوكيل﴾ [الزمر/٤١].

● والقرآن الكريم مصدق لما بين يديه من الكتب كالتوراة والإنجيل ومهيمن عليها كما قال سبحانه ﴿وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه﴾ [المائدة/٤٨].

● وبعد نزول القرآن أصبح هو كتاب البشرية إلى أن تقوم الساعة فمن لم يؤمن به فهو كافر يُعاقب بالعذاب يوم القيامة كما قال سبحانه ﴿والذين كذبوا بآياتنا يمسهم العذاب بما كانوا يفسقون﴾ [الأنعام/٤٩].

● ولعظمة القرآن.. وما فيه من الآيات والمعجزات.. والأمثال والعبر.. إلى جانب الفصاحة وروعة البيان قال الله عنه.. ﴿لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون﴾ [الحشر/٢١].

● وقد تحدى الله الإنس والجن على أن يأتوا بمثله.. أو بسورة من مثله.. أو آية من مثله.. فلم يستطيعوا ولن يستطيعوا كما قال سبحانه ﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتون بمثل هذا القرآن لا يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً﴾ [الإسراء/٨٨].

- ولما كان القرآن الكريم أعظم الكتب السماوية، وأتمها وأكملها، وآخرها أمر الله رسوله محمداً ﷺ بإبلاغه للناس كافة بقوله. . ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس﴾ [المائدة/٦٧].

- ولأهمية هذا الكتاب. . وحاجة الأمة إليه. . فقد أكرمنا الله به فأنزله علينا وتكفل بحفظه لنا فقال: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ [الحجر/٩].

● ● ● ● ●

الحديث الشريف

- الحديث هو ما أثر عن الرسول ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة.
- والحديث إما أن يكون مؤكداً لما في القرآن كالأمر بالصلاة والزكاة ونحوهما.. أو يكون مفصلاً لما أجمل في القرآن كعدد ركعات الصلوات، وأنصبة الزكاة وصفة الحج ونحو ذلك.. أو يكون مبيناً لحكم سكت عنه القرآن كتحريم الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها في الزواج.
- وقد أنزل الله القرآن على رسوله محمد ﷺ وأمره ببيانه للناس بقوله.. ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون﴾ [النحل/٤٤].
- وحديث الرسول ﷺ وحي من ربه قال تعالى.. ﴿ما ضل صاحبكم وما غوى * وما ينطق عن الهوىٰ إن هو إلاَّ وحي يوحى﴾ [النجم/٢ ـ ٤].
- وقد بعث الله رسوله محمداً ﷺ ليدعوا الناس إلى عبادة الله وحده والكفر بما سواه.. مبشراً بالجنة.. ومنذراً بالنار.. ﴿يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً﴾ [الإسراء/١٠٥].
- والرسول ﷺ حريص على هذه الأمة.. ما علم من خير إلاَّ دل الأمة عليه.. وما علم من شر إلاَّ وحذرها منه.. ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾ [التوبة/١٢٨].
- وكان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة.. وبعث الله رسوله محمداً ﷺ رحمة إلى الناس كافة.. ﴿وما أرسلناك إلاَّ رحمة للعالمين﴾ [الأنبياء/١٠٧].

- ولما كان الرسول ﷺ مبلغاً عن ربه الوحي الذي أنزل عليه فقد وجبت طاعته، بل صارت طاعته طاعة لله.. ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾ [النساء/ ٨٠].

- وطاعة الله ورسوله هي سبيل النجاة وطريق الفوز والسعادة في الدنيا والآخرة.. ﴿ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً﴾ [الأحزاب/ ٧١].

- ومن هنا وجبت طاعة الله ورسوله على جميع الناس لأن فيها فلاحهم ونجاتهم.. ﴿وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون﴾ [آل عمران/ ١٣٢].

- ومن عصى الله ورسوله فإنما يضر نفسه ولا يضر الله شيئاً.. ﴿ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين﴾ [النساء/ ١٤].

- وإذا حكم الله ورسوله في أمر فليس لأحد أن يختار أو يعترض بل تجب الطاعة والإيمان بالحق.. ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً﴾ [الأحزاب/ ٣٦].

- ولا يتم إيمان العبد إلاَّ بمحبة الله ورسوله.. والمحبة تستلزم الطاعة ومن أراد أن يحبه الله ويغفر له ذنوبه فليتبع الرسول ﷺ ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم، والله غفور رحيم﴾ [آل عمران/ ٣١].

- محبة الرسول ﷺ ليست كلمات تردد.. بل هي عقيدة وسلوك.. تعني طاعته فيما أمر.. وتصديقه فيما أخبر.. واجتناب ما نهى عنه وزجر.. وأن لا يعبد الله إلاَّ بما شرع..

- ولما أكمل الله هذا الدين.. وبلغ الرسول ﷺ رسالة ربه.. قبضه الله إلى

جواره وترك الرسول ﷺ الأمة على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلاَّ هالك.. ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾ [المائدة/٣].

● وقد حفظ الصحابة رضي الله عنهم بفضل الله أحاديث الرسول ﷺ.. ثم جاء من بعدهم السلف الصالح فدونوها في كتب عرفت بالصحاح والسنن والمسانيد.. ومن أصحها صحيح البخاري.. وصحيح مسلم.. والسنن الأربع ومسند الإمام أحمد.. وموطأ مالك وغيرها.

● وقد أكمل الله هذا الدين.. وما علم الرسول ﷺ من خير إلاَّ دل الأمة عليه.. وما علم من شر إلاَّ حذرها منه.. فمن أحدث في دين الله شيئاً من البدع، والخرافات كسؤال الموتى، والطواف على قبورهم.. ودعاء الجن والأولياء وغير ذلك مما لم يشرعه الله ورسوله.. فذلك كله مردود غير مقبول كما قال عليه الصلاة والسلام.. «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»[1].

● ● ● ● ●

(١) رواه مسلم برقم ١٧١٨.

الملائكة

- خلق الله الملائكة من نور.. قال عليه الصلاة والسلام «خُلقت الملائكة من نور، وخُلق الجان من مارج من نار، وخُلق آدم مما وصف لكم»[1].
- والملائكة مجبولون على طاعة الله.. ﴿لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون﴾ [التحريم/٦].
- وهم خلق لا يأكلون ولا يشربون وإنما طعامهم التسبيح والتهليل كما أخبر الله عنهم بقوله.. ﴿يسبحون الليل والنهار لا يفترون﴾ [الأنبياء/٢٠].
- وقد شهد الملائكة بوحدانية الله كما قال سبحانه.. ﴿شهد الله أنه لا إله إلَّا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط لا إله إلَّا هو العزيز الحكيم﴾ [آل عمران/١٨].
- وفي مقام التشريف اصطفى الله من الملائكة رسلاً كما اصطفى من الناس رسلاً.. ﴿الله يصطفى من الملائكة رسلاً ومن الناس﴾ [الحج/٧٥].
- ولما خلق الله آدم.. وأراد تشريفه.. أمر الملائكة بالسجود له.. ﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلَّا إبليس أبىٰ وأستكبر وكان من الكافرين﴾ [البقرة/٣٤].
- والملائكة خلق عظيم.. ولهم أعمال متعددة.. وهم طوائف كثيرة لا يعلمهم إلَّا الله فمنهم حملة العرش.. ﴿الذين يحملون العرش ومن

---

(١) رواه مسلم برقم ٢٩٩٦.

حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا﴾ [غافر/٧].

- ومنهم من ينزل بالوحي على الرسل وهو جبريل عليه السلام الذي نزل بالقرآن على محمد ﷺ.. ﴿نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين﴾ [الشعراء/١٩٣].

- ومنهم ميكائيل الموكل بالقطر والنبات.. وإسرافيل الموكل بالنفخ في الصور عند قيام الساعة.

- ومنهم الحفظة الموكلون بحفظ بني آدم وأعمالهم.. ﴿وإن عليكم لحافظين * كراماً كاتبين * يعلمون ما تفعلون﴾ [الإنفطار/١٠ ـ ١٢].

- ومنهم الموكلون بكتابة الأعمال كلها خيراً كانت أو شراً.. ﴿إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد * ما يلفظ من قول إلّا لديه رقيب عتيد﴾ [ق/١٧ ـ ١٨].

- ومنهم الموكلون بقبض أرواح المؤمنين.. ﴿الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون﴾ [النحل/٣٢].

- ومنهم الموكلون بقبض أرواح الكافرين.. ﴿ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم وذوقوا عذاب الحريق﴾ [الأنفال/٥٠].

- ومنهم خزنة الجنة وخدم أهل الجنة.. ﴿والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار﴾ [الرعد/٢٣].

- ومنهم خزنة جهنم.. ﴿يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد﴾ [التحريم/٦].

- ومنهم المجاهدون مع المؤمنين.. ﴿إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب فأضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان﴾ [الأنفال/١٢].

- وفي ليلة القدر من شهر رمضان تنزل الملائكة ليشهدوا الخير مع المسلمين كما قال سبحانه ﴿ليلة القدر خير من ألف شهر تنزَّلُ الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر﴾ [القدر/٣ ـ ٤].

- والملائكة لا تدخل بيتاً فيه تمثال أو صورة أو كلب.. قال النبي ﷺ «لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا صورة»[١].

- والإيمان بالملائكة ركن من أركان الإيمان ومن جحدهم فقد كفر.. ﴿ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالاً بعيداً﴾ [النساء/١٣٦].

● ● ● ● ●

(١) رواه مسلم برقم ٢١٠٦.

الـجـن

● الجن خلق من خلق الله، خلقهم من نار قبل خلق آدم كما قال سبحانه ﴿ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمأ مسنون * والجان خلقناه من قبل من نار السموم﴾ [الحجر/٢٦ ـ ٢٧].

● وكما أن لآدم ذرية.. فكذلك لإبليس ذرية كما قال سبحانه عن إبليس ﴿أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلاً﴾ [الكهف/٥٠].

● وقد خلق الله الجن والإنس لعبادته.. فمن أطاعه دخل الجنة.. ومن عصاه دخل النار.. ﴿وما خلقت الجن والإنس إلاَّ ليعبدون * ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون * إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين﴾ [الذاريات/٥٦ ـ ٥٨].

● والجن كلهم مكلفون كالإنس منهم المؤمن والكافر.. والمطيع والعاصي كما حكى الله سبحانه عنهم قولهم.. ﴿وأنا منا الصالحون ومنا دون ذلك كنا طرائق قدداً﴾ [الجن/١١].

● وجزاء الجن في الآخرة كالإنس كما قال الله سبحانه عنهم.. ﴿وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون * فمن أسلم فأولئك تحروا رشداً وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً﴾ [الجن/١٤ ـ ١٥].

● وسيقف الجن والإنس جميعاً للحساب يوم القيامة أمام رب العالمين فلن يتأخر أو يفر منهم أحد.. ﴿يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا

من أقطار السمٰوات والأرض فأنفذوا لا تنفذون إلّا بسلطان﴾ [الرحمن/٣٣].

- ومن حاول الفرار من الجن والإنس عن الحساب فلن يتمكن كما قال عنهما سبحانه. . ﴿يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران﴾ [الرحمٰن/٣٥].

- وحين كان الرسول ﷺ في مكة صرف الله إليه نفراً من الجن فسمعوا القرآن وتأثروا به. . ﴿وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قُضي ولوا إلى قومهم منذرين﴾ [الأحقاف/٢٩].

- وقد آمن بعض الجن حين سمعوا القرآن كما قال سبحانه. . ﴿قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرءاناً عجباً يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحداً﴾ [الجن/١ ـ ٢].

- وكل من آدم وإبليس وقع في المعصية. . لكن آدم ندم وتاب فتاب الله عليه ﴿فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم﴾ [البقرة/٣٧].

أما إبليس فأبىٰ وأستكبر فكان من الكافرين ﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلّا إبليس أبىٰ واستكبر وكان من الكافرين﴾ [البقرة/٣٤].

- ومن عصىٰ الله مستكبراً من الجن والإنس فهو تبع للشيطان، يحشر معه في نار جهنم إن لم يتب كما قال سبحانه لإبليس. . ﴿قال فالحق والحق أقول* لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين﴾ [ص/٨٤ ـ ٨٥].

- وأولياء الرحمٰن من الإنس والجن يتعاونون على البر والتقوى. . وأولياء الشيطان من الإنس والجن يتعاونون على الأثم والعدوان. قال تعالى. . ﴿وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى

بعض زخرف القول غروراً ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون﴾ [الأنعام/١١٢].

● وكان الجن لهم مقاعد في السماء يسترقون السمع فلما بعث الله رسوله محمداً ﷺ مُنعوا ذلك ومن استمع منهم أحرقته الشهب كما حكى الله عن الجن قولهم.. ﴿وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهباً * وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً﴾ [الجن/٨ ــ ٩].

● والجن معنا في هذه الأرض، ولكن من رحمة الله أنهم يروننا ونحن لا نراهم كما قال سبحانه عن إبليس وقبيله.. ﴿إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم﴾ [الأعراف/٢٧].

ومن يراك وأنت لا تراه وهو عدوك فهو أشد خطراً.. لذا يجب الانتباه والحذر منه دائماً.. والاحتراس من شياطين الإنس والجن.

● ● ● ● ●

عـداوة الشيطـان للإنســان

- لما امتنع إبليس من السجود لآدم طرده الله من السماء. . وحقت عليه لعنـة الله إلى يـوم القيامـة فقال الله لـه ﴿فأخـرج منها فـإنك رجيم * وإن عليـك لعنتي إلى يوم الدين﴾ [ص/٧٧ ـ ٧٨].

- ثم سـأل الله أن ينظره إلى يـوم البعث فـأنـظره الله ﴿قـال أنـظرني إلى يـوم يبعثون * قال إنك من المنظرين﴾ [الأعراف/١٤ ـ ١٥].

- فلمـا أمِنَ إبليس من الهـلاك تمـرَّد وطغىٰ وعـانـد. . ﴿قـال فبمـا أغـويتني لأقعـدن لهم صراطـك المستقيم * ثم لآتينهم من بين أيـديهم ومن خلفهم وعن أيمـانهم وعن شمـائلهم ولا تجـد أكثـرهم شـاكـرين﴾ [الأعـراف/ ١٦ ـ ١٧].

- ولمـا قال إبليس ذلـك قال الله لـه. . ﴿إذهب فمن تبعـك منهم فـإن جهنم جزاؤكم جزاءً موفوراً * واستفزز من استطعت منهم بصـوتك واجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الأموال والأولاد وعـدهم وما يعـدهم الشيطان إلّا غـروراً * إن عبـادي ليس لـك عليهم سلطان وكفى بـربـك وكيـلاً﴾ [الإسراء/٦٣ ـ ٦٤ ـ ٦٥].

- ومن هنـا أعلن الشيـطان عن خبث عـداوتـه لبني آدم فبـدأ يـزين لهم المعـاصي. . ويغـريهم بـالمحـرمـات والخبـائث. . ويـأمـرهم بـالسـوء والفحشـاء. . فـانخـدع بـذلـك أكثـر النـاس، ووقعـوا في تلك المعـاصي

والمحرمات. . ﴿ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلاَّ فريقاً من المؤمنين﴾ [سبأ/ ٢٠].

● وكل ما يقع بين بني آدم من الكفر والقتل. . والعداوة والبغضاء. . وانتشار الفواحش. . والزنا، وتبرج النساء. . وشرب الخمور. . وعبادة الأصنام واقتراف الكبائر فذلك كله من عمل الشيطان. . ليصد عن سبيل الله ويفسد الناس. . ويجرهم معه إلى نار جهنم. . ﴿يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون * إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون﴾ [المائدة/ ٩٠ ــ ٩١].

● وقد حذرنا الله من السير خلف الشيطان واتباع خطواته فقال. . ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر﴾ [النور/ ٢١].

● وإذا أعرض الإنسان عن الله تولاه الشيطان وجره إلى الفساد والطغيان. . ﴿ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزاً﴾ [مريم/ ٨٣].

● وكل من اعرض عن الله وسار خلف الشيطان فإنما يهلك نفسه. . ويخسر دنياه وآخرته. . ﴿ومن يتخذ الشيطان ولياً من دون الله فقد خسر خسراناً مبيناً﴾ [النساء/ ١١٩].

● وقد سلك الشيطان طرقاً عجيبة في الإغواء فأفسد كثيراً من الناس. . وزين لهم سوء أعمالهم حتى أوردهم جهنم وبئس المصير. . ﴿يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلاَّ غروراً * أولئك مأواهم جهنم ولا يجدون عنها محيصاً﴾ [النساء/ ١٢٠ ــ ١٢١].

- وعداوة الشيطان لآدم وذريته قديمة.. فقد أسكن الله آدم وزوجه في الجنة فجاء الشيطان إلى آدم وزين له المعصية.. فأطاعه آدم يظنه صادقاً فعصى آدم ربه وأخرج من الجنة.. ثم تاب الله عليه.. وقد حذرنا الله من طاعة الشيطان فقال.. ﴿يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة﴾ [الأعراف/٢٧].

- ولما كانت عداوة الشيطان للإنسان ظاهرة بينة أمرنا الله بالحذر منه، وإعلان الحرب عليه ونصب العداوة له فقال.. ﴿إن الشيطان لكم عدو فأتخذوه عدواً إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير﴾ [فاطر/٦].

- وقد أرشدنا الله إلى أن نستعيذ بالله من الشيطان الرجيم كلما هممنا بمعصية فقال.. ﴿وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم﴾ [فصلت/٣٦].

- وفي يوم القيامة.. يوم الصدق والعدل.. يعترف الشيطان بجريمته فيعلن أمام الخلائق أن الله صادق.. وأنه كاذب.. وأنه لا لوم عليه وإنما الملامة على من أتبعه.. فيندم كلٌّ من اتبعه ولكن حينذاك لا ينفع الندم.. ﴿وقال الشيطان لما قضى الأمر أن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلَّا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي إني كفرت بما أشركتموني من قبل إن الظالمين لهم عذاب أليم﴾ [إبراهيم/٢٢].

● ● ● ● ●

الإيمان بالكتب والرسل

● حين أهبط الله آدم إلى الأرض وانتشرت ذريته لم يتركهم هملاً.. بل أوجد لهم الرزق.. وأنزل عليه وعلى أبنائه الوحي.. فمنهم من آمن ومنهم كفر ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن أعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حققت عليه الضلالة﴾ [النحل/٣٦].

● والكتب السماوية التي أنزلها الله أربعة وهي.. التوراة والإنجيل والزبور والقرآن.. ﴿نزل عليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل﴾ [آل عمران/٣].

وقال تعالى.. ﴿وآتينا داود زبوراً﴾ [الإسراء/٥٥].

● والأنبياء والرسل كثيرون.. ولا يعلم عددهم إلَّا الله.. منهم من قص الله علينا، ومنهم من لم يقصه علينا.. ﴿ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك﴾ [النساء/١٦٤].

● يجب الإيمان بجميع الكتب التي أنزلها الله.. وجميع الأنبياء والرسل الذين أرسلهم الله كما قال سبحانه ﴿يا أيها الذين آمَنوا آمِنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالاً بعيداً﴾ [النساء/١٣٦].

● الرسول والنبي اسمان لمسمى واحد.. هو من بعثه الله ليدعو الناس إلى عبادة الله وحده من الأنبياء والرسل الذين اصطفاهم الله.. وأرسلهم إلى

عباده يبلغون دينه . . ﴿رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل﴾ [النساء/١٦٢].

- والأنبياء والرسل كثيرون وقد ذكر الله منهم في القرآن خمسة وعشرين فيجب الإيمان بهم جميعاً وهم: آدم . . إدريس . . نوح . . هود . . صالح . . إبراهيم . . لوط . . إسماعيل . . إسحاق . . يعقوب . . يوسف . . شعيب . . أيوب . . ذو الكفل . . موسى . . هارون . . داود . . سليمان . . إلياس . . اليسع . . يونس . . زكريا . . يحيي . . عيسى . . محمد . . عليهم الصلاة والسلام أجمعين.

- والقرآن الكريم أعظم الكتب السماوية وآخرها . . وهو ناسخ لما قبله من الكتب ومهيمن عليه . . فيجب العمل به، وترك ما سواه . . ﴿وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه فآحكم بينهم بما أنزل إليه﴾ [المائدة/٤٨].

- وقد اصطفى الله من بني آدم رسلاً وأنبياء وبعثهم في كل أمة، وأمرهم بالدعوة إلى عبادة الله وحده . . وبيان الشرائع إلى فيها سعادة الدنيا والآخرة . . والبشرى بالجنة لمن آمن . . والإنذار بالنار لمن كفر . . ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة﴾ [النحل/٣٦].

- وقد فضل الله بعض الأنبياء والرسل على بعض . . فأفضلهم أولوا العزم وهم نوح . . وإبراهيم . . وموسى . . وعيسى . . ومحمد . . وأفضل أولي العزم محمد فقد كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة حتى بعث الله محمداً ﷺ إلى الناس كافة . . وهو آخر الأنبياء والرسل وأفضلهم كما قال الله عنه . . ﴿وما أرسلناك إلَّا كافة للناس بشيراً ونذيراً ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ [سبأ/٢٨].

- والأنبياء والرسل اصطفاهم الله.. وجعلهم قدوة لأممهم.. رباهم وأدبهم.. وكرمهم بالرسالة.. وعصمهم من الوقوع في المعاصي.. وأيدهم بالمعجزات فهم أكمل البشر خلقاً وخُلقاً.. وأفضلهم علماً.. وأصدقهم قولاً.. وأعطرهم سيرة.. قال الله عنهم.. ﴿وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين﴾ [الأنبياء/٧٣].
- ولما كان الأنبياء والرسل بهذه المنزلة العالية من الطاعة وحسن الخلق أمرنا الله بالاقتداء بهم فقال.. ﴿أولئك الذين هدى الله فبهداهم إقتده﴾ [الأنعام/٩٠].
- وقد اجتمعت في نبينا محمد ﷺ جميع صفات الأنبياء والرسل.. وأكرمه الله بالأخلاق العظيمة.. لذا أمر الله بالاقتداء به في كل أحواله ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً﴾ [الأحزاب/٢١].
- الإيمان بجميع الأنبياء والرسل من أركان العقيدة الإسلامية التي لا يتم إيمان المسلم إلَّا بها لأنهم يدعون إلى عقيدة واحدة هي الإيمان بالله.. قال تعالى.. ﴿قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون﴾ [البقرة/١٣٦].
- ولما كان أولوا العزم نوح.. وإبراهيم.. وموسى.. وعيسى.. ومحمد عليهم الصلاة والسلام هم أفضل الأنبياء والرسل فسنتحدث عنهم بإختصار حسب ترتيب زمان بعثتهم..

● ● ● ● ●

نـوح عليـه السـلام

● اصطفى الله من بني آدم رسلاً وأنبياء كما قال سبحانـه. . ﴿إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين﴾ [آل عمران/٣٣].

● وقد أرسل الله نوحاً إلى قومه ليدعوهم إلى عبادة الله وحده. . ﴿لقـد أرسلنا نوحاً إلى قومه فقال يا قوم أعبدوا الله مالكم من إله غيـره إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم﴾ [الأعراف/٥٩].

● وكـان قوم نـوح يعبدون الأصنـام فطغـوا، وتمردوا واستكبـروا. . ﴿وقـالـوا لا تـذرن آلهتكم ولا تـذرن وداً ولا سـواعـاً ولا يغـوث ويعـوق ونسـراً﴾ [نوح/٢٣].

● وقد دعا نـوح قومـه. . ولبث فيهم ألف سنة إلَّا خمسين عـاماً يـدعوهم إلى عبادة الله وحده وترك عبادة الأصنام كما قال سبحانه. . ﴿ولقد أرسلنا نوحـاً إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلَّا خمسين عاماً﴾ [العنكبوت/١٤].

● ولكن قوم نوح لم يستجيبوا له. . ولم ينتفعوا بنصحه. . بـل أنكر أشـرافهم نبوته. . واتهموه بالكذب وقالوا إن أتباعه من الفقراء والضعفاء الذين لا فكر لهم ولا روية. . قال تعالى. . ﴿فقال الملأ الذين كفـروا من قومـه ما نـراك إلَّا بشراً مثلنا وما نراك اتبعك إلَّا الذين هم أراذلنا بادي الرأي وما نـرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين﴾ [هود/٢٧].

● واستمر نوح عليه السلام في دعوة قومه. . وتلطف بهم. . ودعاهم في كـل

مناسبة.. ليلاً ونهاراً.. سراً وجهاراً.. فما آمن معه إلاَّ قليل.. أما الأكثرون فقد كذبوه.. وسخروا منه.. وأتهموه بالجنون.. وحالوا بينه وبين تبليغ رسالة ربه.. وهددوه بالرجم إن لم ينته ﴿قالوا لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين﴾ [الشعراء/١١٦].

- ولكن نوحاً لم يبال بتهديدهم.. فواصل دعوته لهم.. حتى إذا ضاق ذرعاً بإستكبارهم، واستهزائهم لجأ إلى ربه بهذه الشكوى.. ﴿قال رب إني دعوت قومي ليلاً ونهاراً فلم يزدهم دعائي إلاَّ فراراً وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكباراً ثم إنى أعلنت لهم وأسررت لهم إسراراً فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفاراً يرسل السماء عليكم مدراراً ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً﴾ [نوح/٥ ــ ١٢].

- فلما أيس نوح عليه السلام من إيمان قومه، وهددوه بالقتل.. وآذوه ومن آمن معه فما كان منه إلاَّ أن دعا عليهم بقوله.. ﴿رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلاَّ فاجراً كفاراً﴾ [نوح/٢٦ ــ ٢٧].

- وقد استجاب الله دعاء نوح عليه السلام.. وقضى بهلاك قوم نوح بالغرق.. وأمره أن يصنع سفينة النجاة ليركب فيها والمؤمنون معه.. ﴿وأوحى إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلاَّ من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون﴾ [هود/٣٦ ــ ٣٧].

- ولما أتم نوح عليه السلام صنع السفينة.. وظهرت علامات بدء العذاب بتفجير العيون من الأرض.. ونزول الماء من السماء.. أمر الله نوحاً بأن يحمل فيها من الأحياء والحيوانات زوجين اثنين ذكراً وأنثى ليبقى ويستمر

نسلها. . كما أمره الله أن يحمل معه أهله ما عدا من كفر منهم، وهم إحدى زوجاته. . وأحد أبنائه. . كما أمره الله أيضاً أن يحمل معه المؤمنين به وهم قليل. . قال تعالى. . ﴿حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا أحمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلاَّ من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه إلاَّ قليل. وقال اركبوا فيها بسم الله مجريها ومرساها إن ربي لغفور رحيم. وهي تجري بهم في موج كالجبال ونادى نوح ابنه وكان في معزل يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين قال سأوي إلى جبل يعصمني من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلاَّ من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين﴾ [هود/٤٢ ـ ٤٤].

● ثم أخذت نوحاً عاطفة الشفقة على ولده فطلب من ربه أن ينجيه من الهلاك ﴿ونادى نوح ربه فقال رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين * قال يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسألني ما ليس لك به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين * قال رب أني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين﴾ [هود/٤٥ ـ ٤٧].

● ولما أهلك الله الكفار بالغرق أمر الله الأرض أن تبلع الماء. . وأمر السماء أن تكف عن المطر. . فاستوت السفينة راسية على جبل الجودي بالموصل وقُضي الأمر وأُهلك الظالمون. . ﴿وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي وغيض الماء واستوت على الجودى وقيل بعداً للقوم الظالمين﴾ [هود/٤٤].

● وبعد أن استوت السفينة على الجبل، أمر الله نوحاً أن ينزل ومن معه محفوفاً بالسلام والبركات. . ﴿قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك

وعلى أمم ممن معــك وأمم سنمـتعـهم ثـم يمـسهـم منــا عــذاب ألـيم﴾ [هود/٤٨].

- وهكـذا نصر الله نـوحاً والمؤمنين معـه. . وأهلك من كفر بـه وجعلهم عبرة للنـاس ﴿ونوحـاً إذ نادى من قبـل فـاستجبنـا لـه فنجينـاه وأهله من الكـرب العـظيم. ونصرنـاه من القوم الـذين كذبـوا بـآيـاتنـا إنهم كـانـوا قـوم سـوءٍ فأغرقناهم أجمعين﴾ [الأنبياء/٧٦ ــ ٧٧].
- ثم جعل الله في ذرية نوح وإبراهيم عليهما السلام النبـوة والكتاب كمـا قال سبحانه. . ﴿ولقد أرسلنا نوحاً وإبراهيم وجعلنا في ذريتهمـا النبوة والكتـاب فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون﴾ [الحديد/٢٦].

● ● ● ● ●

إبراهيم عليه السلام

- أرسل الله نبيه إبراهيم عليه الصلاة والسلام وجعل في ذريته النبوة والكتاب.. ﴿واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقاً نبياً﴾ [مريم/٤١].

- وقد ربى الله إبراهيم.. وأكرمه بفضائل وصفات حميدة.. ﴿إن إبراهيم كان أمة قانتاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين * شاكراً لأنعمه إجتباه وهداه إلى صراط مستقيم * وآتيناه في الدنيا حسنة وإنه في الآخرة لمن الصالحين﴾ [النحل/ ١٢٠ ـ ١٢٢].

- وإبراهيم عليه السلام أبو الأنبياء فلم يبعث نبي من بعده إلاَّ من نسله وقد كان له ولدان اصطفاهما الله بالنبوة وهما إسماعيل جد العرب ومن نسله بعث الله النبي محمداً ﷺ.. أما الآخر فهو إسحاق وقد رزقه الله نبياً اسمه يعقوب ويلقب بإسرائيل وإليه ينسب بنو إسرائيل مع أنبيائهم..

- وقد أشار القرآن إلى أبوة إبراهيم للأنبياء بقوله عن إبراهيم.. ﴿ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلاً هدينا ونوحاً هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزى المحسنين * وزكريا ويحيي وعيسى وإلياس كل من الصالحين * وإسماعيل وإليسع ويونس ولوطاً وكلاً فضلنا على العالمين﴾ [الأنعام/٨٤ ـ ٨٦].

- وقد دعا إبراهيم عليه السلام قومه في العراق إلى عبادة الله وحده.. وترك عبادة الأوثان التي لا تنفع ولا تضر.. قال تعالى.. ﴿وإبراهيم إذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون * إنما تعبدون من دون

الله أوثـاناً وتخلقـون إفكاً * إن الـذين تعبدون من دون الله لا يملكـون لكم رزقاً فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له إليه ترجعـون﴾ [العنكبوت/ ١٦ ـ ١٧].

● وقد أراد إبراهيم عليه السلام أن يحرر قومه من عبادة الأصنام.. ويخلصهم من الخرافات والأساطير فسأل قومه عن هذه الأصنام كما قال تعالى.. ﴿واتل عليهم نبأ إبراهيم * إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون * قالوا نعبد أصناماً فنظل لها عاكفين * قال هل يسمعونكم إذ تدعون * أو ينفعونكم أو يضرون * قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون﴾ [الشعراء/ ٦٩ ـ ٧٤].

● ثم بين لهم أن لا ينقادوا لغيرهم بلا عقل كالبهائم.. وقرر لهم الحقيقة العظمى وهي عبادة الله وحده الذي بيده ملكوت كل شيء.. ﴿قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون * أنتم وآباؤكم الأقدمون فإنهم عدو لي إلاَّ رب العالمين * الذي خلقني فهو يهدين * والذي هو يطعمني ويسقين * وإذا مرضت فهو يشفين * والذي يميتني ثم يحيين * والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين﴾ [الشعراء/ ٧٥ ـ ٨٢].

● وقد كان أبو إبراهيم من عبدة الأصنام.. وكان ينحتها ويبيعها فعز على إبراهيم كفر أبيه فخصه بالنصيحة وقال له.. ﴿يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئاً * يا أبت أني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني أهدك صراطاً سوياً﴾ [مريم/ ٤٢ ـ ٤٣].

● ولكن أبيه لم يستجب له بل هدده بالرجم والهجر فقال.. ﴿أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم لئن لم تنته لأرجمنك واهجرني ملياً﴾ [مريم/ ٤٦].

● فما كان من إبراهيم إلاَّ أن تركه وقال له.. ﴿سلام عليك سأستغفر لك ربي إنه كان بي حفياً﴾ [مريم/ ٤٧].

- وظل إبراهيم يستغفر لأبيه.. ويرجو ربه هدايته.. فلما تبين له أنه عـدو لله تبرأ منه وترك الاستغفار له.. قال تعالى.. ﴿وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلَّا عن مـوعدة وعـدها إيـاه فلما تبين لـه أنه عـدو لله تبرأ منـه إن إبراهيم لأواه حليم﴾ [التوبة/١١٤].

- ولمـا أصر قـوم إبـراهيم على عبـادة الأصنـام.. أراد إبـراهيم أن يبين لهم بـالبرهـان العملي أن تلك الأصنام لا تضـر ولا تنفع.. بعـد أن لم يؤثر في قومه الوعظ والإرشاد ﴿فنظر نظرة في النجوم * فقال إني سقيم * فتولوا عنه مدبرين * فـراغ إلى ألهتهم فقال ألا تـأكلون * ما لكم لا تنـطقون * فـراغ عليهم ضرباً باليمن﴾ [الصفات/٨٨ ـ ٩٣].

- وقد كسر إبراهيم الأصنام إلَّا الكبيـر فتركـه لعلهم يسألـونه عمن فعـل ذلك ﴿فجعلهم جذاذاً إلَّا كبيراً لهم لعلهم إليه يرجعون﴾ [الأنبياء/٥٨].

- فلمـا رجعوا من عيـدهم الذي خـرجوا لـه رأوا الأصنام مكسـرة.. واتهموا إبراهيم فقال لهم. ﴿بـل فعله كبيرهم هـذا فاسـألوهم أن كـانوا ينـطقون﴾ [الأنبياء/٦٣].

- ولمـا كانـوا يعلمون أن تلك الأصنـام لا تنطق لأنهـا جمادات حينئـذ قـالـوا لإبراهيم ﴿لقد علمت ما هؤلاء ينطقون﴾ [الأنبياء/٦٥].

- فلمّا اعترفوا بعجز تلك الأصنام قال لهم إبراهيم.. ﴿أفتعبدون من دون الله مـا لا ينفعكم شيئاً ولا يضـركم * أفٍ لكم ولمـا تعبـدون من دون الله أفـلا تعقلون﴾ [الأنبياء/٦٧].

- ولما انقطعت حجتهم لجأوا إلى استعمال القوة فقالـوا.. ﴿حرقـوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين﴾ [الأنبياء/٦٨].

- فجمعـوا حطبـاً كثيراً.. وأضـرموه نـاراً لها شـرر ولهب عـظيم.. ثم ألقـوا

إبراهيم عليه السلام في تلك النار فقال حسبي الله ونعم الوكيل. . فأنجاه الله منها وجعلها عليه برداً وسلاماً، وأبطل كيد اعدائه. . ﴿قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم * وأرادوا به كيداً فجعلناهم الأسفلين﴾ [الأنبياء/ ٦٩ ـ ٧٠].

- ولما نجا إبراهيم من النار. . أمره الله بالخروج والهجرة من أرض العراق إلى الأرض المقدسة في الشام. . فتزوج ابنة عمه «سارة» وخرج بها مهاجراً مع ابن أخيه لوط إلى بلاد الشام. . كما قال سبحانه. . ﴿ونجيناه ولوطاً إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين﴾ [الأنبياء/ ٧١].

- ثم نزلت بأرض الشام ضائقة شديدة فنزح إبراهيم إلى مصر. . ومعه زوجته ثم عاد منها إلى فلسطين ومعه زوجته «سارة» وجارية لها تدعى «هاجر» ورغب إبراهيم في الذرية. . وزوجته كانت عقيماً وقد تقدمت بها السن. . ولما رأت رغبة زوجها في الولد أهدت إليه جاريتها «هاجر» فتزوجها. . ورزق منها إبنه إسماعيل. . ﴿رب هب لي من الصالحين * فبشرناه بغلام حليم﴾ [الصافات/ ١٠٠ ـ ١٠١].

- وبعد أن ولدت هاجر إسماعيل. . ثارت الحسرة والغيرة في نفس سارة فطلبت من إبراهيم إقصاءهما عنها. . فأوحى الله إلى إبراهيم أن يأخذ هاجر وإسماعيل الرضيع ويذهب بهما إلى مكة. . فسار بهما. . وأنزل هاجر وطفلها إسماعيل في مكان قفر موحش ليس فيه ماء. . ثم تركهما وقفل راجعاً إلى فلسطين. . فقالت له هاجر لمن تتركنا بهذا الوادي القفر الموحش؟. . ولكن إبراهيم مضى وتركها. . فقالت حينئذ آالله أمرك بهذا. .؟ قال نعم. . فقالت إذن لا يضيعنا الله.

- واستسلم إبراهيم لأمر ربه. . وصبر على فراق زوجته وولده. . ثم التفت إليهم في مكانهم عند البيت الحرام ودعا بهذه الدعوات. . ﴿ربنا أني

أسكنت من ذريتي بـواد غيـر ذي زرع عنـد بيتـك المحـرم * ربنـا ليقيمـوا الصـلاة فأجعـل أفئدة من النـاس تهوي إليهم وأرزقهم من الثمـرات لعلهم يشكرون﴾ [إبراهيم/٣٧].

- مكثت هـاجر في مكـة تأكـل من الزاد. . وتشـرب من الماء اللذين تـركهما إبراهيم لها ولابنها فلما نفد ذلك. . عطشت وعطش ابنهـا. . فطلبت المـاء وصعدت جبل الصفا فلم تر شيئاً. . ثم صعدت جبل المروة فلم تر شيئاً. . فعلت ذلك سبع مرات. . ثم التفتت إلى إسماعيل فإذا الماء ينبع من تحت قـدميه. . ففـرحت وشـربت وسقت ابنهـا. . ثم جـاءت قبيلة «جـرهم» إلى هاجر واستأذنوها في السكن عند المـاء فأذنت لهم. . فسكنـوا بجوارهـا. . ولما كبر إسماعيل تزوج منهم. . وتعلم العربية منهم.

- وفي تلك الفتـرة كـان إبـراهيم يـزور ابنــه من وقت لآخـر. . وفي إحــدى الزيارات رأى إبراهيم في المنام أنَّ الله يأمره بذبح ابنـه إسماعيـل. . ورؤيا الأنبيـاء حق. . فعـزم إبــراهيم على تنفيـذ أمـر الله مـع أنــه فـي سن الشيخوخة. . وإسماعيل ابنه الوحيد. . قال تعالى ﴿فبشرنـاه بغلام حليم * فلما بلغ معه السعي قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فـأنظر مـاذا ترى * قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصـابرين * فلمـا اسلمـا وتله للجبين * ونادينـاه أن يا إبـراهيم قد صـدقت الرؤيـا إنا كـذلك نجـزي المحسنين * إن هذا لهـو البلاء المبين * وفـدينـاه بـذبـح عـظيم﴾ [الصافات/ ١٠١ ـ ١٠٧].

- ثم بشـره الله بولـد آخر هـو إسحـاق. . ثم رجـع إبـراهيم إلى فلسـطين. . ﴿وبشرناه بإسحاق نبياً من الصالحين﴾ [الصافات/١١٢]. .

وولـد له إسحـاق من زوجته سـارة. . ﴿وامرأتـه قائمـة فضحكت فبشرنـاها بإسحاق ومن وراء إسحٰق يعقوب﴾ [هود/٧١].

- ثم أقام إبراهيم في فلسطين مدة. . ثم جاء إلى مكة مرة أخرى لأمر عظيم. . فقد أمره الله أن يبني في مكة الكعبة لتكون أول بيت يقام لعبادة الله. . فقام إبراهيم بالبناء وابنه إسماعيل يناوله الحجارة. . فلما ارتفع البنيان قام إبراهيم على حجر وهو مقام إبراهيم الموجود حول الكعبة. . قال تعالى. . ﴿وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم﴾ [البقرة/١٢٧].

- وقد أمر الله إبراهيم وإسماعيل أن يطهرا البيت من الأصنام والنجاسات ليكون طاهراً للطائفين والقائمين والركع السجود. . ولما بنى إبراهيم البيت أمره الله أن يدعو الناس للحج بقوله تعالى. . ﴿وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق﴾ [الحج/٢٧].

- ثم دعا إبراهيم عليه السلام بهذه الدعوات العظيمة لمكة ومن فيها. . ﴿وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلداً آمناً وأرزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فأمتعه قليلاً ثم اضطره إلى عذاب النار وبئس المصير﴾ [البقرة/١٢٦].

- ثم دعا له ولذريته بقوله. . ﴿ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم * ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم﴾ [البقرة/ ١٢٧ ـ ١٢٨].

- ثم دعا لأهل الحرم أن يبعث الله فيهم رسولاً منهم يدعوهم إلى عبادة الله وحده فقال. . ﴿ربنا وأبعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم﴾ [البقرة/١٢٩].

- وقد استجاب الله دعاء نبيه إبراهيم فجعل مكة بلداً آمناً. . ورزق أهلها من الثمرات. . وبعث فيهم رسولاً منهم هو خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ فلله الحمد والشكر. .

- وقد كانت النبوة والرسالة بعد إبراهيم في بني إسرائيل زماناً طويلاً.. حتى بعث الله محمداً ﷺ من نسل إسماعيل رسولاً إلى الناس جميعاً وأمره بقوله.. ﴿قل يا أيها الناس أني رسول الله إليكم جميعاً﴾ [الأعراف/١٥٨].

- وقد أمر الله محمداً ﷺ أن يتبع ملة إبراهيم فقال سبحانه.. ﴿ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين﴾ [النحل/١٢٣].

- وكانت وصية إبراهيم إلى أبنائه هي التمسك بدين الإسلام.. والعمل به حتى الممات قال تعالى.. ﴿ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلّا وأنتم مسلمون﴾ [البقرة/١٣٢].

- اللهم صل على إبراهيم.. وعلى آل إبراهيم.. إنك حميد مجيد.

- ومن الأنبياء في زمان إبراهيم عليه السلام لوط، وإسماعيل، وإسحٰق ويعقوب.. ثم يوسف، ثم شعيب.. ثم أيوب.. ثم ذو الكفل.. ثم أرسل الله موسى وهارون عليهما وعلى سائر الأنبياء أفضل الصلاة والسلام.

● ● ● ● ●

موسى عليه السلام

- أوحى الله إلى موسى ابن عمران عليه الصلاة والسلام وأرسله إلى بني إسرائيل يدعوهم إلى عبادة الله وحده كما قال سبحانه ﴿ولقد أرسلنا موسى بآياتنا أن أخرج قومك من الظلمات إلى النور وذكرهم بأيام الله﴾ [إبراهيم/٥].

- وهارون عليه السلام أخو موسى من النسب أرسله الله عضداً لموسى حين أراد بعثه إلى فرعون ليدعوه إلى عبادة الله بناءً على طلب موسى.. ﴿ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبياً﴾ [مريم/٥٣].

- وكان بنوا إسرائيل حينذاك في مصر تحت حكم فرعون.. وقد استعبدهم وأذلهم فكان يستحيي نساءهم ويقتل أبناءهم.. ﴿يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم إنه كان من المفسدين﴾ [القصص/٤].

- وقد وُلد موسى في مصر.. وأراد الله أن يتربى في بيت فرعون.. فوضعته أمه في تابوت وألقته في اليم.. فالتقطه آل فرعون.. وفرحت به زوجته آسية ونهتهم عن قتله.. ولم بلغ أشده آتاه الله حكماً وعلماً.

- وفي يوم من الأيام استغاث بموسى رجل من بني إسرائيل على عدوه.. فوكزه موسى فقضى عليه.. فندم موسى وأستغفر ربه فغفر له.. وأصبح في المدينة خائفاً يترقب.. وفي اليوم الثاني وجد موسى ذلك الرجل يقاتل عدواً له.. فاستنصره مرة أخرى فغضب موسى عليه.. وظن الرجل أنه

يـريـد قتله. . فقـال لـه. . ﴿أتـريـد أن تقتلني كمـا قتلت نفسـاً بـالأمس﴾ [القصص/١٩].

- فأخبر ذلـك العدو قـوم فرعـون. . فراحـوا يبحثون عن مـوسى ليقتلوه فجاء رجل صالح وأخبر موسى بما يدبر لـه القوم ونصحـه بالخـروج من مصر. . ﴿فخـرج منهـا خـائفـاً يتـرقب قـال رب نجني من القـوم الـظالمين﴾ [القصص/٢١].

- وتوجه مـوسى إلى أرض مدين. . وتـزوج هناك بنتـاً لشيخ كـريم. . مقابـل تأجير نفسه له ثمان سنين. . فلما تم الأجل سار مـوسى بأهله إلى مصـر. . فلمـا كان بـطور سيناء أراد الله أن يخصـه بكرامتـه ونبوتـه وكلامـه. . فضل موسى الطريق فرأى ناراً. . ﴿فقال لأهله امكثوا إني آنست نـار لعلي آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى * فلما أتاها نودي يا موسى إني أنـا ربك فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى * وأنا اخترتك فاستمع لما يوحىٰ * إنني أنا الله لا إله إلَّا أنـا فاعبـدني وأقم الصلاة لـذكري * إن السـاعة آتيـة أكاد اخفيها لتجزى كل نفس بما تسعىٰ﴾ [طه/١٠ ـ ١٥].

- ثم أراه الله بعض المعجـزات فـأمـره أن يلقي عصـاه على الأرض فـانقلبت حية. . وأن يدخل يده في جيبه فخرجت بيضاء. . ثم قال لـه اذهب بهاتين المعجزتين إلى فرعون لعله يتذكر أو يخشىٰ. . فقد جاوز الحد في الـطغيان والفساد. . وأرسل مـع موسى أخـاه هارون كمـا قال تعـالى. . ﴿اذهبا إلى فـرعون إنـه طغىٰ فقولا لـه قولاً لينـاً لعله يتذكـر أو يخشى * قالا ربنـا إننـا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغىٰ * قال لا تخافا إنني معكما أسمع وأرى * فأتياه فقولا إنّا رسولا ربك فأرسل معنـا بني إسرائيـل ولا تعذبهم قـد جئناك بآية من ربك والسلام على من اتبع الهدى﴾ [طه/٤٣ ـ ٤٧].

- ذهب موسى وهارون عليهمـا السلام إلى فـرعون وبلَّغـاه الرسـالة. . وسـأل

فرعون موسى. . ﴿قال فرعون وما رب العالمين قال رب السمٰوات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين﴾ [الشعراء/٢٣].

● ثم طلب فرعون من موسى أية تشهد بصدقه. . ﴿قال إن كنت جئت بآية فأت بها إن كنت من الصادقين * فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين * ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين﴾ [الأعراف/١٠٦ ـ ١٠٨].

● فلما رأى فرعون وحاشيته ذلك اتهموا موسى بالسحر. . ثم جمعوا له السحرة. . ودفعوا لهم الأجر الجزيل. . وجمع الناس يوم الزينة. . فألقى السحرة حبالهم وعصيهم. . ﴿فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم﴾ [الأعراف/١١٦].

● ثم نصر الله موسى على السحرة وبطل كيدهم وآمن السحرة برب العالمين. . ﴿وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك فإذا هي تلقف ما يأفكون فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين وألقي السحرة ساجدين قالوا آمنا برب العالمين * رب موسى وهارون﴾ [الأعراف/ ١١٧ ـ ١٢٢].

● ولما آمن السحرة بالله. . قطع فرعون أيدي السحرة وأرجلهم من خلاف وصلبهم. . فصبروا ولم يبالوا بتهديده حتى لقوا الله مسلمين. . ثم أشار الأشراف بقتل موسى وقومه لئلا يفسدوا في الأرض فقتلوا الأبناء. . واستحيوا النساء. . فأوصى موسى بني إسرائيل بالصبر. . ثم ضاق فرعون بموسى فأتمر وقومه على قتله. . ﴿وقال فرعون ذروني أقتل موسى وليدع ربه إني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد﴾ [غافر/٢٦].

● وحينما كانوا يفكرون في قتل موسى. . دفعت المروءة رجلاً مؤمناً من آل فرعون يكتم إيمانه فدافع عن موسى. . وقال إن كان كاذباً فلن يضرنا. .

وإن كان صادقاً يصبكم بعض الذي يعدكم وتابع هذا الرجل نصح فرعون وقومه فلم يستجيبوا له . . ﴿قال فرعون ما أريكم إلاَّ ما أرى وما أهديكم إلاَّ سبيل الرشاد﴾ [غافر/٢٩].

• وظل موسى يدعو فرعون وقومه بالحكمة والموعظة الحسنة . . ولكن ما زادهم ذلك إلاَّ علواً في الأرض وطغياناً وتعذيباً للمؤمنين . . فدعا عليهم موسى . . فعاقبهم الله بالجدب والقحط ونقص الثمرات لعلهم يذكرون . . ولكنهم لم يذعنوا بل استمروا في إجرامهم وطغيانهم . . فأصابهم الله بصنوف أخرى من المصائب لعلهم يرجعون . . ﴿وقالوا مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوماً مجرمين﴾ [الأعراف/١٣٢ ـ ١٣٣].

• ولما ازداد طغيان فرعون . . جاء الأمر الإلهي بالفرج فأمر الله موسى أن يخرج ببني إسرائيل من مصر سراً . . فلما علم فرعون جمع جيشاً كبيراً ليدرك موسى وقومه قبل أن يصلوا فلسطين . . وخرج فرعون وجنوده تاركين وراءهم البساتين والجنات والأموال . . فأدركوا موسى وقومه مع شروق الشمس عند ساحل البحر الأحمر فنجى الله موسى وقومه . . وأغرق فرعون وجنوده كما قال تعالى . . ﴿وأوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي إنكم متبعون * فأرسل فرعون في المدائن حاشرين * إن هؤلاء لشرذمة قليلون * وإنهم لنا لغائظون * وإنا لجميع حاذرون * فأخرجناهم من جنات وعيون * وكنوز ومقام كريم * كذلك وأورثناها بني إسرائيل * فاتبعوهم مشرقين * فلما تراء الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون * قال كلا إن معي ربي سيهدين * فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم * وأزلفنا ثم الآخرين * وأنجينا موسى ومن معه

أجمعين * ثم أغرقنا الآخرين * إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين * وإن ربك لهو العزيز الرحيم﴾ [الشعراء/٥٢ ـ ٦٨].

● وهكذا هلك فرعون وجنوده. ولما أدركه الغرق آمن.. ولكن لم ينفعه ذلك.. وأبقى الله بدنه ليكون عبرة لمن بعده.. وكانت عقوبة آل فرعون في الدنيا الغرق في البحر وفي الآخرة العذاب الشديد.. ﴿وحاق بآل فرعون سوء العذاب النار يعرضون عليها غدواً وعشياً ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب﴾ [غافر/٤٥ ـ ٤٧].

● وقد شاهد بنو إسرائيل معجزات موسى وكان آخرها معجزة نجاتهم وهلاك عدوهم.. وكانت هذه المعجزات كافية لنزع رواسب الوثنية من قلوبهم إلَّا أنها كانت تعاودهم أحياناً.. ولقي موسى الأهوال في سبيل ردهم إلى عبادة الله وحده.. ومن ذلك:

١ ـ عندما جاوز البحر بهم مروا على قوم يعبدون الأصنام.. فطلبوا من موسى أن يتخذ لهم صنماً يعبدونه كهؤلاء فقال لهم موسى ﴿إنكم قوم تجهلون * إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون * قال أغير الله أبغيكم إلهاً وهو فضلكم على العالمين﴾ [الأعراف/١٣٨ ـ ١٤٠].

٢ ـ وسار بنو إسرائيل إلى الأرض المقدسة وفي الطريق أصابهم العطش فشكوا إلى موسى فدعا ربه فسقاهم.. ﴿وأوحينا إلى موسى إذ استسقاه قومه أن اضرب بعصاك الحجر فانبجست منه اثنتا عشرة عيناً قد علم كل أناس مشربهم﴾ [الأعراف/ ١٦٠].

٣ ـ وفي طريقهم شكوا شدة حرارة الشمس.. وقلة الطعام فدعا موسى ربه فظللهم بالغمام.. ورزقهم من الطيبات ولكنهم لم يشكروا بل طلبوا غيرها.. ﴿وظللنا عليهم الغمام وأنزلنا عليهم المن والسلوى كلوا من

طيبـات مـا رزقنـاكم ومـا ظلمـونـا ولكن كـانـوا أنفسهم يـظلمـون﴾ [الأعراف/ ١٦٠].

ثم اشتكوا وقالوا.. ﴿لن نصبر على طعـام واحد فـادع لنا ربـك يخرج لنـا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها﴾ [البقرة/٦١].

٤ ـ وكـان الله قد وعـد مـوسى أن ينـزل عليـه كتـابـاً فيـه الأوامـر والنواهي لبني إسرائيل.. فلما هلك فرعون سأل موسى ربـه الكتاب فـأمره أن يصوم أربعين يوماً فخلّف أخاه هارون في قومـه وصام تلك الأيـام.. ثم أنزل الله عليه التوراة عند جبل الطور.. فيها المواعظ وتفصيل كل شيء.. فلما رجع إلى قومه وجدهم يعبدون العجل الذي صنعـه لهم السامـري من الحلي وقال لهم هذا إلٰهكم وإله موسى.. ﴿فـأخرج لهم عجـلاً جسداً لـه خوار فقالوا هذا إلٰهكم وإله موسى فنسي * أفلا يرون ألا يـرجع إليهم قـولاً ولا يملك لهم ضـراً ولا نفعاً * ولقـد قال لهم هـارون من قبل يـا قوم إنمـا فتنتم به وإن ربكم الرحمن فـاتبعوني وأطيعـوا أمري * قـالوا لن نبـرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى﴾ [طه/٨٨ ـ ٩١].

فلما جاء موسى غضب عليهم ولامهم وبين لهم الحق.. ثم حرق العجل، ورماه في البحر، وعاقب السامري فكان يتألم من مس أي شيء.

٥ ـ نـدم بنوا إسـرائيل على عبـادة العجل.. فـاختار منهم مـوسى سبعين رجلاً وذهب بهم إلى جبل الطور ليقدمـوا الطاعـة لله.. والندم على مـا فعلوا.. وهنـاك كلم الله مـوسى.. ولكن بعضهم لم يؤمن بـأن الله هـو الذي يكلم موسى فعصوا وقالـوا أرنا الله جهـرة.. ﴿وإذ قلتم يا مـوسى لن نؤمن لـك حتى نـرى الله جهـرة فـأخـذتكم الصـاعقـة وأنتم تنـظرون * ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون﴾ [البقرة/ ٥٥ ـ ٥٦].

٦ ــ ولما عاد موسى إلى بني إسرائيل ومعه التوراة أبوا أن يقبلوها وتذمروا من أحكامها فهددهم فقبلوا. . كما قال تعالى. . ﴿وإذا أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون * ثم توليتم من بعد ذلك فلولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين﴾ [البقرة/ ٦٣ ــ ٦٤].

٧ ــ ثم أمر موسى بني إسرائيل بأن يذهبوا معه إلى الأرض المقدسة في فلسطين فذهبوا معه ثم خافوا من أهلها الجبارين وعصوا موسى وتمردوا عليه. . ﴿قالوا يا موسى إنَّا لن ندخلها أبداً ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنَّا ها هنا قاعدون﴾ [المائدة/ ٢٤].

فدعا عليهم موسى. . واستجاب الله دعاءه. . وأخبره بأن الأرض المقدسة محرمة عليهم. . وأنهم سيتيهون في الأرض أربعين سنة فلا يحزن عليهم. . ﴿قال رب إني لا أملك إلاَّ نفسي وأخي فأفرق بيننا وبين القوم الفاسقين * قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض فلا تأس على القوم الفاسقين﴾ [المائدة/ ٢٥ ــ ٢٦].

- وهكذا ظل موسى صابراً على تذمر بني إسرائيل. . وكثرة شكواهم. . وفي مدة التيه توفى هارون. . ثم توفي موسى. . ومات أكثرهم. . فلما انقضت المدة دخل يوشع بن نون بهم الأرض المقدسة وحاصرها حتى فتحها. . وأمرهم أن يدخلوا الأرض المقدسة سجداً فلم يمتثلوا. . ودخلوها على أُستاهم.

- وقد امتن الله على بني إسرائيل بنعم عظيمة فأنجاهم من فرعون. . ورزقهم من الطيبات. . وجعل منهم الأنبياء والملوك. . وفضلهم على العالمين ولكنهم كفروا تلك النعم ولم يشكروها. . ﴿وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكاً وآتاكم ما لم يؤت أحداً من العالمين﴾ [المائدة/ ٢٠].

• ولليهود أقوال سيئة وأفعال خبيثة أوجبت لعنهم وسخط الله عليهم.

• فقد اتهموا الله بالبخل.. ﴿وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء﴾ [المائدة/٦٤].

• وكفروا بقولهم هذا البهتان العظيم.. ﴿لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء﴾ [آل عمران/١٨١].

• ونسبوا إلى الله الولد قاتلهم الله أنى يؤفكون.. ﴿وقالت اليهود عزير ابن الله﴾ [التوبة/٣٠].

• ولما بلغتهم التوراة كفر كثير منهم بأحكامها.. وصدوا عن سبيل الله.. واستباحوا الظلم فعاقبهم الله بذنوبهم.. قال تعالى.. ﴿فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيراً وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل واعتدنا للكافرين منهم عذاباً أليماً﴾ [النساء/٦١].

• ومن بهتانهم قولهم إنهم أبناء الله وأحباؤه.. ﴿وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق﴾ [المائدة/١٨].

• ومن كذبهم وبهتانهم قولهم.. ﴿وقالوا لن يدخل الجنة إلَّا من كان هوداً أو نصارى تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين﴾ [البقرة/١١١].

• ومن إفترائهم وكذبهم قولهم.. ﴿وقالوا لن تمسنا النار إلَّا أياماً معدودة قل اتخذتم عند الله عهداً أم تقولون على الله ما لا تعلمون﴾ [البقرة/٨٠].

• ومن مكرهم وخيانتهم أنهم كانوا يحرفون كتابهم التوراة.. ﴿من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه﴾ [النساء/٤٦].

● ومن جرائمهم أنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق فعاقبهم الله بذنوبهم كما قال تعالى . . ﴿وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون﴾ [البقرة/٦١].

● ولما لليهود من مظالم، وافتراءات، وأعمال سيئة، وفساد في الأرض ألقى الله بينهم العداوة البغضاء فلن تقوم لهم قائمة إلى يوم القيامة . . ﴿وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله ويسعون في الأرض فساداً والله لا يحب المفسدين﴾ [المائدة/٦٤].

● واليهود ضعاف النفوس . . قلوبهم متفرقة . . وأهواؤهم مختلفة . . ﴿لا يقاتلونكم جميعاً إلاَّ في قُرىً محصنة أو من وراء جدر بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون﴾ [الحشر/١٤].

● واليهود أشد الناس عداوة للذين آمنوا . . واليهود لطغيانهم وفسادهم يكرهون الموت فراراً مما بعد الموت كما قال تعالى . . ﴿قل يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين * ولا يتمنونه أبداً بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين﴾ [الجمعة/٦ ـ ٧].

● وظل اليهود على فسادهم وطغيانهم وتحريفهم . . وأرسل الله إلى بني إسرائيل كثيراً من الأنبياء والرسل لردهم إلى الصراط المستقيم فمنهم من آمن بهم . . ومنهم من كفر . . حتى أرسل الله إليهم عيسى بن مريم عليه السلام .

● ● ● ● ●

عيسى عليه السلام

● كانت مريم ابنة عمران امرأة صالحة تقية.. واجتهدت في العبادة حتى لم يكن لها نضير في النسك والعبادة.. فبشرتها الملائكة باصطفاء الله لها.. ﴿إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين * يا مريم أقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين﴾ [آل عمران/ ٤٢ ـ ٤٣].

● ثم بشرت الملائكة مريم بأن الله سيهب لها ولداً يخلقه بكلمة كن فيكون وهذا الولد اسمه المسيح عيسى بن مريم.. وسيكون وجيهاً في الدنيا والآخرة ورسولاً إلى بني إسرائيل.. ويعلم الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل.. وله من الصفات والمعجزات ما ليس لغيره.. كما قال تعالى.. ﴿إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين * ويكلم الناس في المهد وكهلاً ومن الصالحين * قالت رب أنى يكون لي ولداً ولم يمسسني بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون﴾ [آل عمران/٤٥ ـ ٤٧].

● ثم أخبر الله تعالى عن تمام بشارة الملائكة لمريم بإبنها عيسى عليه السلام فقال عن تشريف عيسى، وتأييده بالمعجزات.. ﴿ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل * ورسولاً إلى بني إسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله

وأبرىء الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين * ومصدقاً لما بين يدي من التوراة ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله وأطيعون إن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم﴾ [آل عمران/٤٨ ــ ٥١].

- والله سبحانه له الكمال المطلق في الخلق.. يخلق ما يشاء كيف يشاء.. فقد خلق آدم من تراب بلا أب ولا أم.. وخلق حواء من ضلع آدم من أب بلا أم.. وجعل نسل بني آدم من أب وأم.. وخلق عيسى من أم بلا أب.. فسبحان الخلاق العليم.

- وقد بين الله في القرآن كيفية ولادة عيسى بياناً شافياً فقال سبحانه ﴿واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً * فاتخذت من دونهم حجاباً فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً * قالت إني أعوذ بالرحمٰن منك إن كنت تقياً * قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكياً * قالت أنّىٰ يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أك بغياً * قال كذلك قال ربك هو علي هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمراً مقضياً﴾ [مريم/١٦ ــ ٢١].

- فلما قال لها جبريل ذلك استسلمت لقضاء الله فنفخ جبريل في جيب درعها.. ﴿فحملته فانتبذت به مكاناً قصياً * فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة قالت يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسياً ومنسياً﴾ [مريم/٢٢ ــ ٢٣].

- ثم ساق الله لمريم الماء والطعام.. وأمرها أن لا تكلم أحداً.. ﴿فناداها من تحتها ألا تحزني قد جعل ربك تحتك سرياً * وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً * فكلي وأشربي وقري عيناً فإما ترين من

البشر أحداً فقولي إني نذرت للرحمٰن صوماً فلن أكلم اليوم أنسياً﴾ [مريم/ ٢٤ ـ ٢٦].

- ثم جاءت مريم إلى قومها تحمل ولدها عيسى. . فلما رأوها أعظموا أمرها جداً واستنكروه. . فلم تجبهم. . وأشارت لهم اسألوا هذا المولود يخبركم. . قال تعالى. . ﴿فأتت به قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جئت شيئاً فرياً * يا أخت هارون ما كان أبوك أمرأ سوء وما كانت أمك بغياً * فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبياً﴾ [مريم/ ٢٧ ـ ٢٩].

- فأجابهم عيسى على الفور وهو طفل في المهد. . ﴿قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً * وجعلني مباركاً أين ما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً * وبراً بوالدتي ولم يجعلني جباراً شقياً * والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً﴾ [مريم/ ٣٠ ـ ٣٣].

- ذلك خبر عيسى ابن مريم عبد الله ورسوله. . ولكن أهل الكتاب اختلفوا فيه فمنهم من قال هو ابن الله. . ومنهم من قال ثالث ثلاثة. . ومنهم من قال هو الله. . ومنهم من قال هو عبد الله ورسوله وهذا الأخير هو القول الحق قال تعالى. . ﴿ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون * ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه إذا قضىٰ أمراً فإنما يقول له كن فيكون * وإن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم * فاختلف الأحزاب من بينهم فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم﴾ [مريم/ ٣٤ ـ ٣٧].

- ولما انحرف بنو إسرائيل عن الصراط المستقيم. . وتجاوزوا حدود الله. . فظلموا، وأفسدوا في الأرض، وأنكر فريق منهم البعث والحساب والعقاب. . وانغمسوا في الشهوات والملذات غير متوقعين حساباً. . حينئذ

بعث الله إليهم عيسى ابن مريم رسولاً وعلمه التوراة والإنجيل كما قال سبحانه عنه . . ﴿ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل ورسولاً إلى بني إسرائيل﴾ [آل عمران/٤٨].

- وقد أنزل الله على عيسى ابن مريم الإنجيل هدى ونوراً . . ومصدقاً لما في التوراة . . ﴿وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور ومصدقاً لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظةً للمتقين﴾ [المائدة/٤٦].

- وعيسى عليه السلام قد بشر بمجيء رسول من الله يأتي من بعده اسمه أحمد وهو محمد ﷺ قال تعالى . . ﴿وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين﴾ [الصف/٦].

- قام عيسى عليه السلام بدعوة بني إسرائيل إلى عبادة الله وحده . . والعمل بأحكام التوراة والإنجيل . . وأخذ يجادلهم ويبيِّن فساد مسلكهم . . فلما رأى عنادهم وظهرت بوادر الكفر فيهم . . وقف في قومه قائلاً من أنصارى إلى الله؟ فآمن به الحواريون وعددهم إثنا عشر قال تعالى ﴿فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصارى إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله وأشهد بأنا مسلمون * ربنا آمنا بما أنزلت وأتبعنا الرسول فأكتبنا مع الشاهدين﴾ [آل عمران/ ٥٢ ــ ٥٣].

- أيد الله عيسى بمعجزات عظيمة تذكر بقدرة الله . . وتربي الروح . . وتبعث الإيمان بالله واليوم الآخر . . فكان يخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله . . وكان يبرىء الأكمه والأبرص، ويحيي الموتى بإذن الله . ويخبر الناس بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم . . فقام اليهود الذين

أرسل الله إليهم عيسى بمعاداته وصرف الناس عنه.. وتكذيبه، وقذف أمه بالفاحشة.

- فلما رأوا أن الضعفاء والفقراء يؤمنون به.. ويلتفون حوله حينئذ دبروا له مكيدة ليقتلوه فحرضوا الرومان عليه.. وأوهموا الحاكم الروماني أن في دعوة عيسى زوالاً لملكه فأصدر أمره بالقبض على عيسى وصلبه.. فألقىٰ الله شبه عيسى على الرجل المنافق الذي وشىٰ به فقبض عليه الجنود يظنونه عيسى فصلبوه.. ونجى الله عيسى من الصلب والقتل كما حكى الله عن اليهود.. ﴿وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذي اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلَّا اتباع الظن وما قتلوه يقيناً * بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيماً﴾ [النساء/١٥٧ ـ ١٥٨].

- فعيسى عليه السلام لم يمت بل رفعه الله إليه.. وسينزل قبل يوم القيامة ويتبع محمداً ﷺ.. وسيكذب اليهود الذين زعموا قتل عيسى وصلبه.. والنصارى الذين غلو فيه وقالوا هو الله.. أو ابن الله.. أو ثالث ثلاثة.

قال النبي عليه الصلاة والسلام.. «والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد»[1].

- فإذا نزل عيسى قبل يوم القيامة آمن به أهل الكتاب كما قال تعالى.. ﴿وإن من أهل الكتاب إلَّا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً﴾ [النساء/١٥٩].

- وعيسى ابن مريم عبد الله ورسوله.. أرسله الله لهداية بني إسرائيل والدعوة

---

(١) متفق عليه أخرجه مسلم برقم ١٥٥.

إلى عبادة الله وحده كما قال سبحانه لليهود والنصارى. . ﴿يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلَّا الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما في السمٰوات وما في الأرض وكفى بالله وكيلاً﴾ [النساء/١٧١].

● والقول بأن عيسى ابن الله قول عظيم ومنكر كبير. . ﴿وقالوا اتخذ الرحمٰن ولداً * لقد جئتم شيئاً إداً * تكاد السمٰوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هداً * أن دعوا للرحمٰن ولداً * وما ينبغي للرحمٰن أن يتخذ ولداً إن كل من في السمٰوات والأرض إلَّا آتى الرحمٰن عبداً﴾ [مريم/٨٨ ـ ٩٣].

● وعيسى ابن مريم بشر وهو عبد الله ورسوله فمن اعتقد أن المسيح عيسى ابن مريم هو الله فقد كفر. . ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم﴾ [المائدة/٧٢].

● ومن قال إن المسيح ابن مريم ابن الله أو ثالث ثلاثة فقد كفر. . ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلَّا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم﴾ [المائدة/٧٣].

● فالمسيح ابن مريم بشر. . وُلد من أم. . يأكل ويشرب. . ويقوم وينام. . ويتألم ويبكي. . والإلٓه منزه عن ذلك. . فكيف يكون إلهاً. . بل هو عبد الله ورسوله ﴿ما المسيح ابن مريم إلَّا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون﴾ [المائدة/٧٥].

● وقد أفسد اليهود والنصارى والصليبيون وأتباعهم دين المسيح وحرفوا فيه

وبدلوا.. وقالوا لعنهم الله إن الله قدم ابنه المسيح للقتل والصلب فداءً للبشرية.. فلا حرج على أحد أن يعمل ما شاء فقد تحمل عنه عيسى كل الذنوب.. ونشروا ذلك بين طوائف النصارى حتى جعلوه جزءاً من عقيدتهم.. وهذا كله من الباطل والكذب على الله، والقول عليه بغير علم.. بل كل نفس بما كسبت رهينة.. وحياة الناس لا تصلح ولا تستقيم إن لم يكن لهم منهج يسيرون عليه.. وحدود يقفون عندها..

- فانظر كيف يفترون على الله الكذب.. ويقولون على الله غير الحق.. ﴿فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون﴾ [البقرة/٧٩].

- وقد أخذ الله الميثاق على النصارى على اتباع عيسى والعمل بما جاء به، فبدلوا وحرفوا فاختلفوا ثم أعرضوا.. فعاقبهم الله بالعداوة والبغضاء في الدنيا.. وبالعذاب في الآخرة كما قال تعالى.. ﴿ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظاً مما ذكروا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون﴾ [المائدة/١٤].

- وسيقف عيسى عليه السلام يوم القيامة أمام رب العالمين فيسأله على رؤس الأشهاد ماذا قال لبني إسرائيل كما قال سبحانه ﴿وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلٓهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب * ما قلت لهم إلَّا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد * إن

تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم﴾ [المائدة/ ١١٦ ـ ١١٨].

● وقد جعل الله في أتباع عيسى والمؤمنين به رأفة ورحمة.. وهم أقرب مودة لأتباع محمد من غيرهم كما قال تعالى.. ﴿لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا ولتجدنَّ اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون﴾ [المائدة/٨٢].

● وعيسى ابن مريم هو آخر أنبياء بني إسرائيل.. ثم بعث الله بعده محمداً ﷺ من نسل إسماعيل إلى الناس كافة، وهو آخر الأنبياء والمرسلين..

● ● ● ● ●

محمـد ﷺ

- اختلف بنوا إسرائيل.. وحرفوا وبدلوا في عقيدتهم وشريعتهم.. فانطمس الحق.. وظهر الباطل.. وانتشر الظلم والفساد.. واحتاجت الأمة إلى دين يُحق الحق.. ويَمحق الباطل.. ويهدي الناس إلى الصراط المستقيم فبعث الله محمداً ﷺ كما قال سبحانه ﴿وما أنزلنا عليك الكتاب إلَّا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون﴾ [النحل/٦٤].

- أرسل الله جميع الأنبياء والرسل للدعوة إلى عبادة الله وحده، وإخراج الناس من الظلمات إلى النور فأولهم نوح وآخرهم محمد ﷺ قال تعالى.. ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾ [النحل/٣٦].

- وآخر الأنبياء والرسل هو محمد ﷺ فلا نبي بعده.. قال تعالى ﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين﴾ [الأحزاب/٤٠].

- وكان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة.. وبعث الله رسوله محمداً ﷺ إلى الناس كافة كما قال سبحانه.. ﴿وما أرسلناك إلَّا كافة للناس بشيراً ونذيراً ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ [سبأ/٢٨].

- وقد أنزل الله على رسوله القرآن يهدي به الناس ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذن ربهم قال تعالى.. ﴿كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد﴾ [إبراهيم/١].

- وقد وُلد الرسول محمد بن عبد الله بن عبد المطلب الهاشمي القرشي بمكة عام الفيل الذي جاء أصحابه لهدم الكعبة فأبادهم الله. . وتوفي أبوه وهو في بطن أمه. . ولما ولد محمد أرضعته حليمة السعدية. . ثم زار أخواله في المدينة مع أمه آمنة بنت وهب وفي طريق العودة إلى مكة توفيت أمه بالابواء وعمره ست سنين. . ثم كفله جده عبد المطلب فمات وعمر محمد ثمان سنين. . ثم كفله عمه أبو طالب يرعاه ويكرمه ويدافع عنه أكثر من أربعين سنة وتوفي أبو طالب ولم يؤمن بدين محمد خشية أن تعيره قريش بترك دين آبائه.

- وكان محمد في صغره يرعى الغنم لأهل مكة. . ثم سافر إلى الشام بتجارة لخديجة بنت خويلد وربحت التجارة. . وأُعجبت خديجة بخلقه وصدقه وأمانته فتزوجها وعمره خمس وعشرون سنة وعمرها أربعون سنة ولم يتزوج عليها حتى ماتت.

- وقد أنبت الله محمداً نباتاً حسناً. . وأدبه فأحسن تأديبه. . ورباه وعلمه حتى كان أحسن قومه خلقاً وخُلقاً. . وأعظمهم مروءة. . وأوسعهم حلماً. . وأصدقهم حديثاً وأحفظهم أمانة حتى سماه قومه بالأمين.

- ثم حُبب إليه الخلاء فكان يخلو بغار حراء الأيام والليالي يتعبد فيه ويدعو ربه. . وأبغض الأوثان والخمور والرذائل فلم يلتفت إليها في حياته.

- ولما بلغ محمد خمساً وثلاثين سنة شارك قريشاً في بناء الكعبة لما جرفتها السيول فلما تنازعوا في وضع الحجر الأسود حكَّموه في الأمر. فدعا بثوب فوضع الحجر فيه ثم أمر رؤساء القبائل أن يأخذوا بأطرافه فرفعوه جميعاً. ثم أخذه محمد فوضعه في مكانه وبنى عليه. . فرضي الجميع وانقطع النزاع.

- وكان لأهل الجاهلية صفات حميدة كالكرم والوفاء والشجاعة.. وفيهم بقايا من دين إبراهيم كتعظيم البيت.. والطواف به.. والحج والعمرة.. وإهداء البدن.. وإلى جانب هذا كانت لهم صفات وعادات ذميمة كالزنا، وشرب الخمور.. وأكل الربا.. وقتل البنات.. والظلم، وعبادة الأصنام..
- وأول من غير دين إبراهيم ودعا إلى عبادة الأصنام عمرو بن لحي الخزاعي فقد جلب الأصنام إلى مكة وغيرها.. ودعا الناس إلى عبادتها.. ومنها ود، وسواع، ويغوث، ويعوق، ونسرا.
- ثم اتخذ العرب أصناماً أخرى ومنها.. صنم مناة بقديد.. واللات بالطائف.. والعزى بوادي نخلة.. وهبل في جوف الكعبة.. وأصنام حول الكعبة.. وأصنام في بيوتهم.. واحتكم الناس إلى الكهان والعرافين والسحرة.
- ولما انتشر الشرك والفساد بهذه الصورة بعث الله رسوله محمداً ﷺ وعمره أربعون سنة يدعو الناس إلى عبادة الله وحده وترك عبادة الأصنام.. فأنكرت قريش ذلك وقالت ﴿أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب﴾ [ص/٥].
- وظلت هذه الأصنام تُعبد من دون الله حتى بعث الله رسوله ﷺ بالتوحيد فكسرها وهدمها هو وأصحابه رضوان الله عليهم فظهر الحق.. وزهق الباطل.. ﴿وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً﴾ [الإسراء/٨١].
- وأول ما نزل الوحي على النبي ﷺ في غار حراء الذي كان يتعبد فيه حيث جاءه جبريل فأمره أن يقرأ فقال الرسول ما أنا بقارىء.. فكرر عليه وفي الثالثة قال له.. ﴿إقرأ بإسم ربك الذي خلق * خلق الإنسان من علق * اقرأ وربك الأكرم﴾ [العلق/١ ـ ٢ ـ ٣].

- فرجع الرسول، وفؤاده يرجف، ودخل على زوجته خديجة ثم أخبرها. . وقال لقد خشيت على نفسي فطمأنته وقالت «والله لا يخزيك الله إبداً إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتقرى الضيف، وتكسب المعدوم، وتعين على نوائب الحق». ثم انطلقت به إلى ابن عمها ورقة بن نوفل وكان قد تنصر. . فلما أخبره بشره وقال له. . هذا الناموس الذي أنزل الله على موسى وأوصاه بالصبر إذا آذاه قومه وأخرجوه. .

- ثم فتر الوحي مدة فحزن الرسول ﷺ فبينما هو يمشي يوماً إذ رأى الملك مرة أخرى بين السماء الأرض. . فرجع إلى منزله وتدثر فأنزل الله عليه ﴿يا أيها المدثر قم فأنذر﴾ [المدثر/١ ـ ٢].

ثم تتابع الوحي بعد ذلك على الرسول ﷺ.

- أقام النبي ﷺ بمكة ثلاثة عشر عاماً يدعو إلى عبادة الله وحده سراً ثم جهراً. . حيث أمره الله أن يصدع بالحق فدعاهم بلين ولطف من غير قتال. . فأنذر عشيرته الأقربين. . ثم أنذر قومه، ثم أنذر من حولهم. . ثم أنذر العرب قاطبة. . ثم أنذر العالمين. كما قال سبحانه ﴿فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين﴾ [الحجر/٩٤].

- وقد آمن بالرسول ﷺ في مكة قلة من الأغنياء والأشراف. . والضعفاء والفقراء والعبيد. . رجالاً ونساءً. . وأوذي الجميع في دينهم. . فَعَذُب بعضهم. . وقُتل بعضهم، وهاجر بعضهم إلى الحبشة فراراً من أذى قريش. . وأوذى معهم الرسول ﷺ فصبر حتى أظهر الله دينه.

- ولما بلغ الرسول ﷺ خمسين سنة ومضى عشر سنوات من بعثته مات عمه أبو طالب الذي كان يحميه من أذى قريش. . ثم ماتت بعده زوجته خديجة التي كانت تؤنسه فاشتد عليه البلاء من قومه. . وتجرؤا عليه وآذوه بصنوف الأذى وهو صابر محتسب. صلوات الله وسلامه عليه.

- ولما اشتد عليه البلاء وتجرأت عليه قريش خرج إلى الطائف ودعا أهلها إلى الإسلام فلم يجيبوه، بل آذوه ورموه بالحجارة حتى أدموا عقبيه، فرجع إلى مكة وظل يدعو الناس إلى الإسلام في الحج وغيره.

- ثم أسرى الله برسوله ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى راكباً على البراق بصحبة جبريل، فنزل وصلى بالأنبياء.. ثم عُرج به إلى السماء الدنيا.. فرأى فيها آدم، وأرواح السعداء عن يمينه.. وأرواح الأشقياء عن شماله.. ثم عرج به إلى السماء الثانية فرأى فيها عيسى ويحيي.. ثم إلى الثالثة فرأى فيها يوسف.. ثم إلى الرابعة فرأى فيها إدريس.. ثم إلى الخامسة فرأى فيها هارون.. ثم إلى السادسة فرأى فيها موسى.. ثم إلى السابعة فرأى فيها إبراهيم.. ثم رفع إلى سدرة المنتهى.. ثم كلمه ربه فأكرمه وفرض عليه وعلى أمته خمسين صلاة في اليوم والليلة.. ثم خففها إلى خمس في العمل وخمسين في الأجر.. واستقرت الصلاة خمس صلوات في اليوم والليلة.. إكراماً منه سبحانه لأمة محمد ﷺ.. ثم رجع إلى مكة قبل الصبح.. فقص عليهم ما جرى له.. فصدقه المؤمنون.. وكذبه الكافرون.. ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصىٰ الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير﴾ [الإسراء/١].

- ثم هيأ الله لرسوله من ينصره.. فالتقى في موسم الحج برهط من المدينة من الخزرج فأسلموا ثم رجعوا إلى المدينة، ونشروا فيها الإسلام.. فلما كان العام المقبل صاروا بضعة عشر فالتقى بهم الرسول ﷺ.. فلما انصرفوا بعث معهم مصعب بن عمير يقرئهم القرآن، ويعلمهم الإسلام.. فأسلم على يديه خلق كثير، منهم زعماء الأوس سعد بن معاذ، وأسيد بن حضير.

● فلما كان العام المقبل وجاء موسم الحج.. خرج منهم ما يزيد على سبعين رجلاً من الأوس والخزرج.. فدعوا رسول الله ﷺ إلى المدينة بعد أن هجره وآذاه أهل مكة. فواعدهم الرسول في إحدى ليالي أيام التشريق عند العقبة.. فلما مضى ثلث الليل خرجوا للميعاد.. فوجدوا الرسول ومعه عمه العباس ولم يؤمن إلاّ أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه.. فتكلم العباس، والرسول، والقوم بكلام حسن.. ثم بايعهم الرسول ﷺ على أن يهاجر إليهم في المدينة على أن يمنعوه، وينصروه، ويدافعوا عنه، ولهم الجنة فبايعوه واحداً واحداً ثم انصرفوا.. ثم علمت بهم قريش فخرجوا في طلبهم، ولكن الله نجاهم منهم، وبقي الرسول في مكة إلى حين.. ﴿ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز﴾ [الحج/ ٤٠].

● ثم أمر الرسول ﷺ أصحابه بالهجرة إلى المدينة.. فهاجروا أرسالاً إلاّ من حبسه المشركون.. ولم يبق بمكة من المسلمين إلاّ رسول الله وأبو بكر وعلي.. فلما أحس المشركون بهجرة أصحاب الرسول إلى المدينة خافوا أن يلحق بهم الرسول فيشتد أمره فتآمروا على قتله.. فأخبر جبريل رسول الله بذلك.. فأمر الرسول علياً أن يبيت في فراشه، ويرد الودائع التي كانت عند الرسول لأهلها.. وبات المشركون عند باب الرسول ليقتلوه إذا خرج.. فخرج من بينهم وذهب إلى بيت أبي بكر بعد أن أنقذه الله من مكرهم وأنزل الله.. ﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين﴾ [الأنفال/ ٣٠].

● ثم عزم رسول الله ﷺ على الهجرة إلى المدينة.. فخرج هو وأبو بكر إلى غار ثور.. ومكثا فيه ثلاث ليال.. وأستأجرا عبد الله بن أبي أريقط، وكان مشركاً، ليدلهما على الطريق، وسلماه راحلتيهما.. فذعرت قريش لما جرى.. وطلبتهما في كل مكان، ولكن الله حفظ رسوله.. فلما سكن

الطلب عنهما، ارتحلا إلى المدينة. . فلما أيست منهما قريش بذلوا لمن يأتي بهما أو بأحدهما مائتين من الإبل فجد الناس في الطلب. . وفي الطريق للمدينة، علم بهما سراقة بن مالك وكان مشركاً فأرادهما فدعا عليه الرسول ﷺ فساخت قوائم فرسه في الأرض. . فعلم أن الرسول ممنوع، وطلب من الرسول أن يدعو له ولا يضره. . فدعا له الرسول، فرجع سراقة، ورد الناس عنهما. . ثم أسلم بعد فتح مكة.

- فلما وصل الرسول ﷺ إلى المدينة كبر المسلمون فرحاً بقدومه. . واستقبله الرجال والنساء والأطفال فرحين مستبشرين. . فنزل بقباء. . وبنى هو والمسلمون مسجد قباء. . وأقام بها بضع عشرة ليلة. . ثم ركب يوم الجمعة فصلاها في بني سالم بن عوف. . ثم ركب ناقته، ودخل المدينة والناس محيطون به، آخذون بزمام ناقته لينزل عندهم، فيقول لهم الرسول دعوها فإنها مأمورة. . فسارت حتى بركت في موضع مسجده اليوم.

- وهيأ الله لرسوله أن ينزل على أخواله قرب المسجد. . فسكن في منزل أبي أيوب الأنصاري، ثم بعث رسول الله ﷺ من يأتي بأهله وبناته وأهل أبي بكر من مكة فجاؤا بهم إلى المدينة.

- ثم شرع النبي ﷺ وأصحابه في بناء مسجده في المكان الذي بركت فيه الناقة. . وجعل قبلته إلى بيت المقدس. . وجعل عمده الجذوع. . وسقفه الجريد. . ثم حولت القبلة إلى الكعبة بعد بضعة عشر شهراً من مقدمه المدينة.

- ثم آخى الرسول ﷺ بين المهاجرين والأنصار. . ووادع الرسول اليهود وكتب بينه وبينهم كتاباً على السلم والدفاع عن المدينة. . وأسلم حبر اليهود عبد الله بن سلام وأبى عامة اليهود إلَّا الكفر. . وفي تلك السنة تزوج عليه السلام بعائشة رضي الله عنها.

- وفي السنة الثانية شُرع الأذان. . وصرف الله القبلة إلى الكعبة. . وفُرض صوم رمضان. .
- ولما استقر الرسول عليه الصلاة والسلام في المدينة. . وأيده الله بنصره. . والتف المهاجرون والأنصار حوله. . واجتمعت القلوب عليه. . عند ذلك رماه المشركون، واليهود، والمنافقون عن قوس واحدة. . فآذوه. . وافتروا عليه. . وبارزوه بالمحاربة. . والله يأمره بالصبر والعفو والصفح. . فلما اشتد ظلمهم. . وتفاقم شرهم، أذن الله للمسلمين بالقتال، فنزل قوله تعالى. . ﴿أذن للذين يُقاتَلون بأنهم ظُلموا وإنَّ الله على نصرهم لقدير﴾ [الحج/٣٩].
- ثم فرض الله على المسلمين قتال من قاتلهم فقال. . ﴿وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين﴾ [البقرة/١٩٠].
- ثم فرض الله عليهم قتال المشركين كافة فقال. . ﴿وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة﴾ [التوبة/٣٦].
- فقام الرسول ﷺ وأصحابه بالدعوة إلى الله. . والجهاد في سبيل الله. . ورد كيد المعتدين. . ودفع الظلم عن المظلومين. . وأيده الله بنصره، حتى صار الدين كله لله. . فقاتل المشركين في بدر في السنة الثانية من الهجرة في رمضان فنصره الله عليهم وفرق جموعهم. . وفي السنة الثالثة غدر يهود بني قينقاع فقتلوا أحد المسلمين فأجلاهم الرسول ﷺ عن المدينة إلى الشام. . ثم ثأرت قريش لقتلاها في بدر، فعسكرت حول أحد في شوال من السنة الثالثة ودارت المعركة. . وعصى الرماة أمر الرسول، فلم يتم النصر للمسلمين. . وانصرف المشركون إلى مكة ولم يدخلوا المدينة. .
- ثم غدر يهود بني النضير وهموا بقتل الرسول ﷺ وذلك بإلقاء الحجر عليه فنجاه الله، ثم حاصرهم في السنة الرابعة وأجلاهم إلى خيبر. .

- وفي السنة الخامسة غزا الرسول بني المصطلق لرد عدوانهم، فانتصر عليهم وغنم الأموال والسبايا. . ثم سعى زعماء اليهود في تأليب الأحزاب على المسلمين للقضاء على الإسلام في عقر داره، فاجتمع حول المدينة المشركون والأحباش. . وغطفان واليهود. . ثم أحبط الله كيدهم. . ونصر رسوله والمؤمنين. . ﴿ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً﴾ [الأحزاب/٢٥].

- ثم حاصر الرسول يهود بني قريظة لغدرهم، ونقضهم العهد. . فنصره الله عليهم. . فقتل الرجال وسبى الذرية. . وغنم الأموال.

- وفي السنة السادسة عزم الرسول ﷺ على زيارة البيت والطواف به. . فصده المشركون عنه، فصالحهم في الحديبية على وقف القتال عشر سنين، يأمن فيها الناس. . ويختارون ما يريدون، فدخل الناس في دين الله أفواجاً.

- وفي السنة السابعة غزا الرسول خيبر للقضاء على زعماء اليهود الذين آذوا المسلمين، فحاصرهم ونصره الله عليهم. . وغنم الأموال والأرض. . وكاتب ملوك الأرض يدعوهم إلى الإسلام.

- وفي السنة الثامنة أرسل رسول الله ﷺ جيشاً بقيادة زيد بن حارثة لتأديب المعتدين. . ولكن الروم جمعوا جيشاً عظيماً. . فقتلوا قواد المسلمين وأنجى الله بقية المسلمين من شرهم.

- ثم غدر كفار مكة فنقضوا العهد. . فتوجه إليهم الرسول ﷺ بجيش عظيم. . وفتح مكة، وطهر بيته العتيق من الأصنام، وولاية الكفار. .

- ثم كانت غزوة حنين في شوال من السنة الثامنة لرد عدوان ثقيف وهوازن فهزمهم الله. . وغنم المسلمون مغانم كثيرة. . ثم واصل الرسول ﷺ مسيره إلى الطائف وحاصرها، ولم يأذن الله بفتحها، فدعا لهم الرسول ﷺ

وانصـرف، فأسلمـوا فيمـا بعـد. . ثم رجـع ووزع الغنـائم، ثم اعتمـر هـو وأصحابه، ثم خرجوا إلى المدينة.

- وفي السنة التاسعة كانت غزوة تبوك في زمان عسرة وشدة. . وحر شـديد. . فسار الرسول ﷺ إلى تبوك لـرد كيد الـروم. . فعسكر هنـاك، ولم يلق كيداً وصالح بعض القبائل، وغنم ثم رجع إلى المدينة. . وهذه آخر غزوة غزاها عليه الصلاة والسلام. . وجاءت في تلك السنة وفود القبائل تـريد الـدخول في الإسلام ومنها وفد تميم. . ووفد طيء. . ووفـد عبد القيس، ووفـد بني حنيفة وكلهم أسلموا. . ثم أمر الرسول ﷺ أبا بكر أن يحج بالناس في تلك السنة وبعث معه علياً رضي الله عنه وأمـره أن يقرأ على النـاس سورة بـراءة للبراءة من المشركين. . وأمره أن ينادي في الناس. . فقال على يـوم النحر «يا أيها الناس لا يدخل الجنة كافر، ولا يحج بعد العـام مشرك، ولا يـطوف بالبيت عريان، ومن كان له عند رسول الله عهد فهو إلى مدته».

- وفي السنـة العاشـرة عزم الـرسول ﷺ على الحج، ودعا النـاس إلى ذلـك فحج معه من المدينة وغيرها خلق كثير. . فأحـرم من ذي الحليفة، ووصـل إلى مكة في ذي الحجة وطاف وسعى. . وعلم الناس مناسكهم. . وخطب الناس بعرفات خطبة عظيمـة جامعـة، قرر فيهـا الأحكام الإسـلامية العـادلة فقال. . «أيها الناس اسمعوا قولي، فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا، أيها الناس إن دماءكم، وأموالكم، وأعراضكم حرام عليكم، كحرمـة يـومكم هـذا، في شهـركم هـذا، في بلدكم هـذا، ألا كـل شيء من أمـر الجاهلية تحت قدمي موضوع، ودماء الجاهلية موضوعة، وإن أول دم أضع من دمائنا دم ابن ربيعة ابن الحارث، كـان مسترضعـاً في بني سعد، فقتلتـه هذيل. وربا الجاهلية موضوع، وأول ربا أضع ربا عباس بن عبد المطلب، فـإنه مـوضوع كله، فـاتقوا الله في النسـاء، فـإنكم أخـذتمـوهن بـأمـان الله

واستحللتم فروجهن بكلمة الله، ولكم عليهن أن لا يؤطئن فرشكم أحداً تكرهونه، فإن فعلن فاضربوهن ضرباً غير مبرح، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف، وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله، وأنتم تسألون عني فما أنتم قائلون، قالوا نشهد أنك قد بلَّغت، وأديت، ونصحت فقال بإصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس اللهم أشهد، اللهم أشهد ثلاث مرات»[1].

ولما أكمل الله هذا الدين، وتقررت أصوله، نزل عليه وهو بعرفات ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾ [المائدة/٣].

وتسمى هذه الحجة حجة الوداع لأن الرسول ﷺ ودع فيها الناس، ولم يحج بعدها.. ثم رجع الرسول ﷺ بعد الفراغ من حجه إلى المدينة.

- وفي السنة الحادية عشرة في شهر صفر بدأ المرض برسول الله ﷺ ولما اشتد عليه الوجع.. أمر أبا بكر رضي الله عنه أن يصلى بالناس.. وفي ربيع الأول، زاد عليه المرض.. فقبض صلوات الله وسلامه عليه ضحى يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول من السنة الحادية عشرة.. فحزن المسلمون لذلك حزناً شديداً.. ثم غُسل وصَلىٰ عليه المسلمون يوم الثلاثاء ليلة الأربعاء ودفن في بيت عائشة.. والرسول قد مات.. ودينه باق إلى يوم القيامة.

- ثم اختار المسلمون صاحبه في الغار.. ورفيقه في الهجرة.. أبا بكر رضي الله عنه خليفة لهم.. ثم تولى الخلافة من بعده عمر ثم عثمان ثم علي وهؤلاء هم الخلفاء الراشدون المهديون رضوان الله عليهم أجمعين.

---

(١) رواه مسلم برقم ١٢١٨.

- وقد أمتن الله على رسوله محمد بنعم عظيمة. . وأوصاه بالأخلاق الكريمة كما قال سبحانه ﴿ألم يجدك يتيماً فآوىٰ * ووجدك ضالاً فهدىٰ * ووجدك عائلاً فأغنىٰ * فأما اليتيم فلا تقهر * وأما السائل فلا تنهر * وأما بنعمة ربك فحدث﴾ [الضحى/٦ ـ ١١].

- وقد أكرم الله رسوله بأخلاق عظيمة. . لم تجتمع لأحد غيره حتى أثنى عليه ربه بقوله. ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾ [القلم/٤].

- وبهذه الأخلاق الكريمة، والصفات الحميدة، استطاع عليه السلام أن يجمع النفوس. . ويؤلف القلوب بإذن ربه. . ﴿فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فأعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين﴾ [آل عمران/١٥٩].

- وقد أرسل الله رسوله محمداً ﷺ إلى الناس كافة. . وأنزل عليه القرآن. . وأمره بالدعوة إلى الله كما قال سبحانه ﴿يا أيها النبي إنَّا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً﴾ [الأحزاب/٤٦].

- وقد فضل الله رسوله محمداً على غيره من الأنبياء بست فضائل كما قال ﷺ «فضلت على الأنبياء بست، أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً، وأرسلت إلى الناس كافة، وختم بي النبيون»[١].

- فيجب على جميع الناس الإيمان به، واتباع شرعه، ليدخلوا جنة ربهم. . ﴿ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم﴾ [النساء/١٣].

---

(١) رواه مسلم برقم ٥٢٣.

• وقد أثنى الله على من يؤمن بالرسول من أهل الكتاب.. وبشرهم بالأجر مرتين كما قال سبحانه ﴿الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون * وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين * أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرؤن بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون﴾ [القصص/٥٢ ـ ٥٤].

وقال النبي ﷺ «ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وأدرك النبي ﷺ فآمن به واتبعه وصدقه فله أجران... إلخ»[1].

• ومن لم يؤمن بالرسول محمد ﷺ فهو كافر، والكافر جزاؤه النار كما قال سبحانه ﴿ومن لم يؤمن بالله ورسوله فإنا أعتدنا للكافرين سعيراً﴾ [الفتح/١٣].

وقال عليه الصلاة والسلام «والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلاَّ كان من أصحاب النار»[2].

• والرسول ﷺ بشر لا يعلم إلاَّ ما علمه الله.. ولا يعلم الغيب.. ولا يملك لنفسه ولا لغيره ضراً ولا نفعاً كما قال سبحانه.. ﴿قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً إلاَّ ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء إن أنا إلاَّ نذير وبشير لقوم يؤمنون﴾ [الأعراف/١٨٨].

• وقد أرسله الله بالإسلام ليظهره على الدين كله.. ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً﴾ [الفتح/٢٨].

---

(١) رواه مسلم برقم ١٥٤.

(٢) رواه مسلم برقم ١٥٤.

● ومهمة الرسول هي إبلاغ ما أرسل به، والهداية بيد الله ﴿فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظاً إن عليك إلاَّ البلاغ﴾ [الشورى/٤٨].

● ولما للرسول ﷺ من فضل عظيم على البشرية، بدعوتها إلى هذا الدين.. وإخراجها من الظلمات إلى النور، فقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر.. وأمرنا بالصلاة عليه في حالات كثيرة فقال سبحانه ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً﴾ [الأحزاب/٥٦].

● وقد جاهد النبي عليه الصلاة والسلام في سبيل نشر هذا الدين.. وجاهد أصحابه معه فعلينا الاقتداء به.. واتباع سنته.. والسير على هديه كما قال سبحانه ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً﴾ [الأحزاب/٢١].

● والإسلام دين الفطرة والعدل.. دين ارتضاه الله للناس كافة.. وهو يشتمل على أصول وفروع.. وآداب وأخلاق.. وعبادات ومعاملات..

ولن تسعد الأمة إلاَّ باتباعه والعمل به.. ولن يقبل الله من الناس غيره كما قال سبحانه.. ﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾ [آل عمران/٨٥].

● اللهم صلِّ على محمد، وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد..

● ● ● ● ●

أركـان الإسـلام

- الإسلام يقوم على خمسة أركان بيّنها الرسـول ﷺ بقولـه «بُني الإسلام على خمس شهـادة أن لا أله إلاَّ الله، وأن محمـداً رسـول الله، وإقـام الصـلاة، وإيتاء الزكاة والحج وصوم رمضان»[1].
- والإسـلام عقيدة وشـريعة.. بيَّنَ الله ورسـوله فيـه.. الحـلال والحـرام.. والأخـلاق والآداب.. والعبادات والمعـاملات.. والحقـوق والواجبـات.. ومشاهد القيامة، فلما أكمل الله هذا الدين على يد رسوله.. ارتضاه ليكون منهج حياة للبشرية كلها إلى أن تقوم الساعة.. ﴿اليـوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾ [المائدة/٣].
- وهذه أركان الإسلام وقواعده التي يقوم عليها

«الركـن الأول الشهادتـان»

- أن يعتقـد الإنسان أن الله وحـده هو الـرب المـالـك المتصـرف.. الخـالق الـرازق، ويثبت له جميـع الأسماء الحسنىٰ.. والصفـات العلىٰ التي أثبتها لنفسه، أو أثبتها له رسوله.. ويعتقد أن الله وحده هو المستحق للعبادة دون سواه كما قال سبحانه ﴿بديع السمٰوات والأرض أنىٰ يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم * ذلكم الله ربكم لا إله إلاَّ

---

(١) متفق عليه أخرجه البخاري برقم ٨.

الله هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل﴾ [الأنعام/١٠١ ـ ١٠٢].

- كما يعتقد الإنسان أن الله أرسل رسوله محمداً ﷺ.. وأنزل عليه القرآن.. وأمره بإبلاغ هذا الدين إلى الناس كافة.. ويعتقد أن محبة الله ورسوله وطاعتهما واجبة على كل أحد.. ولا تتحقق محبة الله إلاَّ بمتابعة رسوله ﷺ ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم﴾ [آل عمران/٣١].

«الركن الثاني الصلاة»

- أن يعتقد الإنسان أن الله أوجب على كل مسلم بالغ عاقل خمس صلوات في اليوم والليلة.. يؤديها على طهارة.. فيقف بين يدي ربه كل يوم طاهراً خاشعاً متذللاً يشكر الله على نعمه.. ويسأله من فضله.. ويستغفره من ذنوبه.. ويسأله الجنة ويستعيذ به من النار..
- والصلوات المفروضة في اليوم والليلة خمس صلوات هي الفجر.. والظهر.. والعصر.. والمغرب.. والعشاء وهناك صلوات مسنونة كقيام الليل، وصلاة التراويح. وركعتي الضحى وغيرها من السنن.
- والصلاة فرضاً كانت أو نفلاً تمثل صدق التوجه إلى الله وحده في جميع الأمور وقد أمر الله المؤمنين كافة بالمحافظة عليها جماعة بقوله تعالى.. ﴿حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين﴾ [البقرة/٢٣٨].
- والصلوات الخمس واجبة على كل مسلم ومسلمة في اليوم والليلة. ﴿إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً﴾ [النساء/١٠٣].
- ولاحظ في الإسلام لمن ترك الصلاة فمن تركها عامداً فقد كفر. كما قال

سبحانه: ﴿منيبين إليه واتقوه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين﴾ [الروم/٣١].

- والإسلام يقوم على التعاون والأخوة والمحبة.. وقد شرع الله الاجتماع لهذه الصلوات وغيرها لتتحقق هذه الفضائل قال عليه الصلاة والسلام «صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة»(١).
- والصلاة عون للعبد على الشدائد والكربات.. قال تعالى: ﴿واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلّا على الخاشعين﴾ [البقرة/٤٥].
- والصلوات الخمس تمحوا الخطايا كما قال عليه الصلاة والسلام.. «أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شيء؟ قالوا لا يبقى من درنه شيء. قال فذلك مثل الصلوات الخمس يمحوا الله بهن الخطايا»(٢).
- والصلاة في المسجد سبب لدخول الجنة قال عليه الصلاة والسلام: «من غدا إلى المسجد أو راح أعد الله له في الجنة نزلاً كلما غدا أو راح»(٣).
- والصلاة تجمع بين العبد وخالقه.. وكانت قرة عين الرسول ﷺ فكان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة يناجي ربه ويدعوه.. ويستغفره، ويسأله من فضله.
- والصلاة بخشوع وتذلل. تُقرِّب المسلم من ربه.. وتنهىٰ عن الفحشاء والمنكر.. كما قال سبحانه.. ﴿أُتل ما أوحي إليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهىٰ عن الفحشاء والمنكر﴾ [العنكبوت/٤٥].

---

(١) رواه مسلم برقم ٦٥٠.

(٢) رواه مسلم برقم ٦٦٧.

(٣) رواه مسلم برقم ٦٦٩.

«الركــن الثالــث الزكـاة»

- خلق الله الناس مختلفين في الألوان والأخلاق والعلوم . . والأعمال والأرزاق . . فجعـل منهم الغني والفقيـر . . ليمتحن الغني بـالشكـر . . ويمتحن الفقيـر بالصبر . .
- ولما كان المؤمنون أخوة . . والأخوة تقوم على العطف والإحسان . . والـرأفة والمحبة والرحمة . . لذا أوجب الله على المسلمين زكاة تؤخذ من أغنيـائهم وترد على فقرائهم قال تعالى : ﴿خذ من أموالهم صـدقة تـطهرهم وتـزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم﴾ [التوبة/١٠٣] .
- فالزكاة تطهـر المال وتنميـه . . وتزكي النفـوس من الشح والبخـل . . وتقوي المحبة بين الأغنياء والفقـراء . . فتزول الأحقـاد . . ويسود الأمن . . وتسعـد الأمة .
- وقد أوجب الله إخراج الزكاة على كل من ملك نصاباً وحال عليـه الحول . . من الذهب والفضة أو المعادن وعروض التجـارة ربع العشـر . . أما الـزروع والثمـار ففيها العشـر إذا سقيت بلا مؤنـة . . ونصف العشر فيمـا سقىٰ بمؤنة عنـد الحصاد . . وفي بهيمـة الأنعـام مقـاديـر مفصلة في كتب الفقـه ، فمن أخرجها كفر الله عنه سيئاته . . وبارك في ماله . . وادخر له الأجر العظيم قال تعالى : ﴿وأقيموا الصلاة وأتوا الـزكاة ومـا تقدمـوا لأنفسكم من خير تجـدوه عند الله إن الله بما تعملون بصير﴾ [البقرة/١١٠] .
- ومنع الزكـاة يجلب المصائب والشـرور للأمـة . . وقـد تـوعد الله من منعهـا بـالعـذاب الأليم يـوم القيـامـة فقـال ﴿والـذين يكنـزون الـذهب والفضـة ولا ينفقونها في سبيـل الله فبشرهم بعـذاب أليم * يوم يحمىٰ عليهـا في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون﴾ [التوبة/ ٣٤ ـ ٣٥] .

- وإخفاء الزكاة أفضل من إظهارها أمام الناس كما قال تعالى: ﴿إن تبدوا الصدقات فنعماهي وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم من سيئاتكم والله بما تعملون خبير﴾ [البقرة/٢٧١].

- وإذا أخرج المسلم الزكاة فلا يجوز صرفها إلاَّ فيما ذكر الله بقوله.. ﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم﴾ [التوبة/٦٠].

«الركن الرابع صيام رمضان»

- الصيام هو الإمساك عن المفطرات من الأكل والشرب والجماع من طلوع الفجر إلى غروب الشمس بنية الصوم.

- والصبر من الأيمان بمنزلة الرأس من الجسد. وقد فرض الله الصوم على هذه الأمة شهراً في السنة لتتقي الله.. وتجتنب ما حرم الله.. ولتتعود على الصبر، وكبح جماح النفس.. وتتنافس في الجود والكرم.. والتعاون والتعاطف، والتراحم قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾ [البقرة/١٨٣].

- شهر رمضان شهر عظيم.. أنزل الله فيه القرآن.. وتضاعف فيه الحسنات والصدقات والعبادات.. وفيه ليلة القدر، وهي خير من ألف شهر تفتح فيه أبواب السماء.. وتغلق أبواب جهنم... وتصفد الشياطين..

- وقد أوجب الله صيام شهر رمضان على كل مسلم بالغ عاقل من ذكر وأنثى كما قال سبحانه: ﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه، ومن كان مريضاً

أو على سفـر فعدة من أيـام أخر يـريد الله بكم اليسـر ولا يريـد بكم العسـر ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون﴾ [البقرة/١٨٥].

● والصـوم ثوابـه عظيم عنـد الله.. قال عليـه الصلاة والسـلام: «كـل عمـل ابن آدم يضـاعف، الحسنـة عشـر أمثـالهـا، إلى سبعمـائـة ضعف قـال الله عـز وجل إلاَّ الصـوم فإنـه لي وأنا أجـزي به، يـدع شهـوتـه، وطعـامـه من أجلي»[1].

«الركـن الخامـس الحـج»

● جعل الله سبحانه للمسلمين قبلة يتجهون إليها عند صلاتهم ودعائهم حيثمـا كانوا وهي البيت العتيق في مكة المكرمة ﴿فول وجهك شطر المسجـد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره﴾ [البقرة/١٤٤].

● ولمـا كـانت ديـار المسلمين متبـاعـدة.. والإسـلام يـدعـو إلى الاجتمـاع والتعارف، كما يدعو إلى التعاون على البر والتقوى.. والتواصي بالحق.. والدعوة إلى الله.. وتعظيم شعائر الله، لذا أوجب الله على كل مسلم بالـغ عاقل قادر أن يزور بيته العتيق، ويطوف به، ويؤدي مناسك الحج كمـا بينها الله ورسـوله. فقـال تعالى: ﴿ولله على النـاس حج البيت من استـطاع إليه سبيلاً ومن كفر فإن الله غني عن العالمين﴾ [آل عمران/٩٧].

● والحـج موسم تتجلى فيـه وحدة المسلمين، وقـوتهم، وعـزتهم.. فـالـرب واحـد.. والكتـاب واحـد والـرسـول واحـد.. والأمـة واحـدة.. والقبلة واحدة.. والعبادة واحدة.. والملابس واحدة.

● وللحج آداب وشروط يجب أن يعمـل بها المسلم كحفظ اللسـان، والسمع

---

(١) رواه مسلم، الصيام، ١٦٤.

والبصر عما حرم الله.. وإخلاص النية.. وطيب النفقة، والتحلي بمكارم الأخلاق.. والابتعاد عن كل ما يفسد الحج من الرفث والفسوق والجدل كما قال سبحانه ﴿الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يا أولي الألباب﴾ [آل عمران/١٩٧].

- والحج إذ قام به المسلم على الوجه الشرعي الصحيح، وكان خالصاً لله كان كفارة لذنوبه.. قال عليه الصلاة والسلام: «من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه»[1].

● ● ● ● ●

(١) رواه البخاري برقم ١٥٢١.

العلم في الإسلام

● خلق الله الإنسان وزوده بأدوات العلم والمعرفة وهي السمع والبصر والعقل قال تعالى . . ﴿والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون﴾ [النحل/٧٨].

● والإسلام دين العلم . . فأول آية نزلت من القرآن، تأمر بالقراءة التي هي مفتاح العلوم قال تعالى . . ﴿إقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الإنسان من علق * اقرأ وربك الأكرم * الذي علم بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم﴾ [العلق/ ١ ــ ٥].

● والعلم في الإسلام يسبق العمل، فلا عمل إلاَّ بعلم كما قال سبحانه: ﴿فاعلم أنه لا إله إلاَّ الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات﴾ [محمد/١٩].

● وقد حذر الله كل مسلم من القول بلا علم فقال سبحانه . . ﴿ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلاً﴾ [الإسراء/٣٦].

● وتنويهاً بمقام العلم والعلماء استشهد الله العلماء على وحدانيته فقال . . ﴿شهد الله أنه لا إله إلاَّ هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط لا إله إلاَّ هو العزيز الحكيم﴾ [آل عمران/١٨].

● ومعرفة الله وخشيته تتم بمعرفة آياته ومخلوقاته . . والعلماء هم الذين

يعلمـون ذلك. . ولـذلك أثنى الله عليهم بقـولـه. . ﴿إنمـا يخشىٰ اللَّهَ من عباده العلماءُ﴾ [فاطر/٢٨].

- وللعلماء في الإسلام منزلة شـريفة تعلو من سـواهم في الدنيـا والآخرة قـال تعـالى. . ﴿يـرفـع الله الـذين آمنـوا منكم والـذين أوتــوا العلم درجـات﴾ [المجادلة/١١].

- ولأهمية العلم أمر الله رسوله أن يطلب المزيد منه فقال. . ﴿وقل رب زدني علماً﴾ [طه/١١٤].

- وقد مدح الله العلماء وأثنى عليهم بقوله. . ﴿قل هل يستوي الـذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الألباب﴾ [الزمر/٩].

- وأهل العلم هم أسرع الناس إدراكاً للحق وإيماناً به. . ﴿وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم﴾ [الحج/٥٤].

- والإسلام يدعو إلى طلب العلم، وقد جعل الرسول ﷺ طلب العلم فريضـة على كل مسلم. . وبين أن فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكـواكب. . وأن العلمـاء ورثـة الأنبيـاء. . وأن الأنبيـاء لم يـورثــوا دينـاراً ولا درهمـاً وإنمـا ورثـوا العلم فمن أخـذه أخـذ بحظ وافـر. . وأخبـر عليـه الصلاة والسلام أن طلب العلم طـريق إلى الجنة فقـال: «من سلك طريقـاً يطلب به علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة»(١).

- والإسلام يدعـو إلى تعلم سائـر العلوم النافعـة. . والعلوم درجات فـأفضلها علم الشريعة. . ثم علم الطب. ثم بقية العلوم. .

- وأفضل العلوم على الإطلاق، علوم الشريعة التي يعـرف بها الإنسـان ربه،

---

(١) رواه البخاري برقم ١٠، العلم.

ونبيه ودينه، وهي التي أكرم الله بها رسوله وعلمه إياها ليعلمها النـاس ﴿لقد منَّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسـولاً منهم يتلو عليهم آياتـه ويـزكيهم ويعلمهم الكتـاب والحكمـة وإن كـانـوا من قبـل لفي ضـلال مبين﴾ [آل عمران/ ١٦٤].

- وقال عليه الصلاة والسلام.. «من يرد الله به خيراً يفقهه في الـدين»[1] وفي العناية بـالقرآن تعلمـاً وتعليماً يقـول الرسـول ﷺ «خيركم من تعلم القـرآن وعلمه»[2].
- ولا خيـر في علم لا يصدقـه العمـل.. ولا في أقـوال لا تصـدقهـا الأفعـال ﴿يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مـا لا تفعلون * كبر مقتـاً عند الله أن تقـولوا ما لا تفعلون﴾ [الصف/ ٢ ـ ٣].
- والأمة تحتاج إلى العلماء في كل زمـان ومكان.. وأمـة بلا علم ولا علمـاء تعيش في الأوهـام.. وتتخبط في الظلمـات.. وإذا تعلم الإنسان مـا شرع الله، وكتم هـذا العلم، وحـرم الأمـة منـه، ألجمـه الله بلجـام من نـار يـوم القيامة.. واستحق اللعنة إلَّا من تاب كما قال سبحانه: ﴿إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون * إلَّا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم﴾ [البقرة/ ١٥٩ ـ ١٦٠].
- وللعالم ثواب عظيم.. والدال على الخير كفاعله.. وإذا مـات العالم فـإن أجره عند الله لا ينقطع بموته، بل يجري له ما انتفع النـاس بعلمه قـال عليه الصلاة والسلام «إذا مات الإنسان انقـطع عمله إلَّا من ثلاثـة إلَّا من صدقـة

---

(١) متفق عليه أخرجه البخاري برقم ٧١.
(٢) أخرجه البخاري برقم ٥٠٢٧.

جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»[1].

- وإذا نشر العالم علمه بين الناس كان له مثل أجور من اتبعه قال عليه الصلاة والسلام «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً»[2].

- والفقه في الدين من أفضل خصال الخير التي يتشرف بها المسلم.. كما قال عليه الصلاة والسلام «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين» متفق عليه[3].

- وقراءة القرآن، وتعلمه وتعليمه من أفضل الأعمال.. كما قال النبي عليه الصلاة والسلام.. «لا حسد إلاَّ في اثنتين رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار ورجل آتاه الله مالاً فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار»[4].

● ● ● ● ●

(١) رواه مسلم برقم ١٦٣١.
(٢) رواه مسلم برقم ٢٦٧٤.
(٣) متفق عليه أخرجه مسلم برقم ١٠٣٧.
(٤) أخرجه مسلم برقم ٨١٥.

الحقوق الإسلامية

● الحقوق الإسلامية كثيرة.. ومن أهم هذه الحقوق:

«حق اللّه»

● نعم الله على العباد كثيرة لا تعد ولا تحصى.. وكل نعمة تستوجب شكراً.. وحقوق الله على العباد كثيرة ومن أهمها:

١ ــ التوحيد.. ومعناه أن يوحدوا الله في ذاته، وأسمائه، وصفاته وأفعاله.. فيعتقدوا أن الله وحده الرب المالك المتصرف.. الخالق الرازق.. الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير ﴿تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير﴾ [الملك/١].

٢ ــ العبادة.. وهي أن يعبدوا الله وحده لأنه ربهم، وخالقهم ورازقهم.. وذلك بصرف جميع أنواع العبادة لله وحده كالدعاء، والذكر.. والاستعانة، والاستغاثة.. والتذلل، والخضوع.. والرجاء، والخوف.. والنذر والذبح ونحو ذلك قال تعالى.. ﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً﴾ [النساء/٣٦].

٣ ــ الشكر.. فالله هو المنعم المتفضل على جميع الخلق.. فعليهم شكر هذه النعم بألسنتهم، وقلوبهم، وجوارحهم وذلك بحمد الله والثناء عليه.. واستعمال هذه النعم في طاعة الله.. وفيما أحل الله ﴿فاذكروني أذكركم وأشكروا لي ولا تكفرون﴾ [البقرة/١٥٢].

«حق الرسول»

- بعثة الرسول ﷺ نعمة كبرى على الإنسانية كافة.. فقد أرسله الله ليخرج الناس من الظلمات إلى النور. ويبين لهم ما يسعدهم في الدنيا والآخرة.

- ومن حق الرسول علينا.. أن نحبه، ونطيعه، ونصلي عليه، ومحبته عليه السلام تكون.. بطاعته فيما أمر.. وتصديقه فيما أخبر.. واجتناب ما نهى عنه وزجر.. وأن لا يعبد الله إلَّا بما شرع.

«حق الوالدين»

- يهتم الإسلام بالأسرة.. ويؤكد على المحبة والاحترام داخلها.. والوالدان قاعدتها وأساسها.. لذا كان بر الوالدين من أفضل الأعمال وأحبها إلى الله تعالى.

- بر الوالدين يكون بطاعتهما واحترامهما.. والتواضع لهما.. والإحسان إليهما.. والإنفاق عليهما.. والدعاء لهما.. وصلة أرحامهما.. وإكرام صديقهما.. ﴿وقضى ربك ألَّا تعبدوا إلَّا إياه وبالوالدين إحساناً﴾ [الإسراء/٢٣].

- والأم في هذه الحقوق حقها أعظم، لأنها هي التي حملته، وولدته، وأرضعته.. جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله من أحق بحسن صحابتي قال أمك. قال ثم من؟ قال أمك. قال ثم من؟ قال أمك... قال ثم من؟ قال أبوك»[1].

---

(١) متفق عليه واللفظ للبخاري/ الأدب/٧٨.

«حق المسلم على المسلم»

● المؤمنون أخوة.. وهم أمة متماسكة، كالبنيان يشد بعضه بعضاً.. يتراحمون فيما بينهم ويتعاطفون ويتحابون.. ولحفظ هذا البنيان، وتلك الأخوة شرع الله حقوقاً للمسلم على أخيه المسلم ومنها محبته.. ونصيحته.. وتفريج كربته.. وستر زلته.. ونصرته في الحق.. واحترام جواره.. وإكرام ضيفه..

● ومنها رد السلام.. وعيادة المريض.. وإجابة الدعوة.. وتشميته إذا عطس.. واتباع جنازته قال عليه الصلاة والسلام «حق المسلم على المسلم خمس رد السلام، وتشميت العاطس، وإجاب الدعوة، وعيادة المريض، واتباع الجنائز»(١).

«حق الجار»

● الإسلام يهتم بشأن الجار مسلماً كان أو غيره، لما في ذلك من المصالح التي تجعل الأمة كالجسد الواحد.. قال عليه الصلاة والسلام: «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه»(٢).

● ومن الحقوق التي قررها الإسلام للجار على جاره.. أن يبدأه بالسلام.. ويعوده إذا مرض.. ويعزيه في المصيبة.. ويهنئه في الفرح.. ويصفح عن زلاته.. ويستر عوراته.. ويصبر على أذاه.. ويهدي له.. ويقرضه إن احتاج.. ويغض بصره عن محارمه.. ويرشده إلى ما ينفعه في دينه ودنياه..

---

(١) رواه مسلم برقم ٢١٦٢.

(٢) متفق عليه، أخرجه مسلم برقم ٢٦٢٥.

قال عليه الصلاة والسلام.. «خير الأصحاب عند الله تعالى خيرهم لصاحبه، وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره»[1].

- وفي حق الجار يقول الله تعالى.. ﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب﴾ [النساء/٣٦].
- وقد حذر الإسلام من إيذاء الجار، والإساءة إليه، وبين الرسول ﷺ أن ذلك سبب للحرمان من الجنة بقوله: «لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه»[2].
- وأوجب الإسلام تحقيقاً للمصلحة حقوقاً للوالي على الرعية.. وحقوقاً للرعية على الوالي.. وحقوقاً للزوج على زوجته.. وحقوقاً للزوجة على زوجها، وغير ذلك من الحقوق العادلة التي أوجبها الإسلام.

● ● ● ● ●

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد برقم ١١٥.
(٢) متفق عليه، وأخرجه مسلم برقم ٤٦.

الآداب الإسلامية

- بعث الله رسوله محمداً ﷺ هادياً وبشيراً. . يدعو إلى مكارم الأخلاق. . وجميل الآداب. . وقد بين الله، ورسوله جملة من الآداب التي ينبغي أن يتأدب بها المسلم، ويتصف بها وهي كثيرة ومنها. .
- الإصلاح بين الناس. . كما قال سبحانه: ﴿لا خير في كثير من نجواهم إلاَّ من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف تؤتيه أجراً عظيماً﴾ [النساء/١١٤].
- والإسلام يجعل المؤمنين أخوة يجب الإصلاح بينهم عند الخلاف كما قال سبحانه: ﴿إنما المؤمنون أخوة فأصلحوا بين أخويكم﴾ [الحجرات/١٠].
- والإصلاح بين الناس من أفضل الأعمال. . قال عليه الصلاة والسلام. . «ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟ قالوا بلى قال صلاح ذات البين، وفساد ذات البين هي الحالقة»[١].
- ومنها صلة الرحم. . كما قال سبحانه: ﴿فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم﴾ [محمد/ ٢٢ ــ ٢٣].

وقال سبحانه: ﴿وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل﴾ [الإسراء/٢٦].

---

(١) رواه البخاري، الأدب المفرد برقم ٣٩٦.

- وصلة الرحم تزيد في طول العمر. . قال عليه الصلاة والسلام «من سره أن يبسط له رزقه أو ينسأ له في أثره فليصل رحمه»[1].

- ومن الآداب الإسلامية. . إكرام الضيف. . والإحسان إلى الجار. . وحفظ اللسان. . قال عليه الصلاة والسلام «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت»[2].

- ومن الآداب الإسلامية الهدية الحسنة. . قال عليه الصلاة والسلام «تهادوا تحابوا»[3].

- ومنها أنه لا يحل للمسلم أن يهجر أخاه المسلم فوق ثلاث ليال. . قال عليه الصلاة والسلام «لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال يلتقيان فيعرض هذا، ويعرض هذا، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام»[4].

- ومنها رحمة الصغير. . وإجلال الكبير. . قال عليه الصلاة والسلام «ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا»[5].

- ومن الآداب أن يقول المسلم إذا أصبح، وإذا أمسى كما قال النبي ﷺ «أصبحنا وأصبح الملك لله، والحمد كله لله، لا شريك له، لا إله إلاَّ الله وإليه النشور. وإذا أمسىٰ قال أمسينا وأمسىٰ الملك لله، والحمد كله لله، لا شريك له، لا إله إلاَّ الله، وإليه المصير»[6].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري في البيوع/٣٤.
(٢) متفق عليه ورواه مسلم برقم ٤٨.
(٣) أخرجه البخاري في الأدب المفرد برقم ٦٠٧.
(٤) رواه مسلم برقم ٢٥٦٠.
(٥) أخرجه البخاري في الأدب المفرد برقم ٣٦٣.
(٦) رواه البخاري في الأدب المفرد برقم ٦١٩.

● ومنها أن يقول المسلم عند الكرب كما قال النبي ﷺ «لا إله إلَّا الله العظيم الحليم، لا إله إلَّا الله رب العرش العظيم، لا إله إلَّا الله رب السمٰوات، ورب الأرض رب العرش الكريم»[1].

● ومنها أن يقول عند العطاس كما قال النبي ﷺ «إذا عطس أحدكم فليقل الحمد لله فإذا قال الحمد لله، فليقل له أخوه أو صاحبه يرحمك الله، وليقل هو يهديكم الله ويصلح بالكم»[2].

● ومنها إذا تثاءب المسلم فليضع يده على فيه.. قال عليه الصلاة والسلام «إذا تثاءب أحدكم، فليمسك بيده فمه، فإن الشيطان يدخله»[3].

● ومنها إفشاء السلام بين المسلمين.. قال عليه الصلاة والسلام.. «يسلم الصغير على الكبير، والماشي على القاعد، والقليل على الكثير»[4].

● ومنها السلام عند دخول المجلس والخروج منه.. قال عليه الصلاة والسلام.. «إذا جاء الرجل المجلس فليسلم، فإن جلس ثم بدا له أن يقوم قبل أن يتفرق المجلس، فليسلم فإن الأولى ليست بأحق من الأخرى»[5].

● ومنها إذا أراد النوم أن ينام على شقه الأيمن ويقول كما قال النبي ﷺ: «اللهم وجهت وجهي إليك، وأسلمت نفسي إليك، وألجأت ظهري إليك، رهبة ورغبة إليك، لا منجى ولا ملجأ منك إلَّا إليك، آمنت بكتابك الذي

---

(١) متفق عليه أخرجه مسلم برقم ٢٧٣٠.
(٢) رواه البخاري في الأدب المفرد برقم ٩٥٣.
(٣) أخرجه البخاري في الأدب المفرد برقم ٩٧٩.
(٤) أخرجه البخاري في الأدب المفرد برقم ١٠٣١.
(٥) أخرجه البخاري في الأدب المفرد برقم ١٠٤٠.

أنزلت، ونبيك الـذي أرسلت» قال فمن قـالهن في ليلة ثم مات مـات على الفطرة»[1].

● ومنها استحباب عيادة المريض لتطييب قلبه.. والدعاء لـه.. وكسب الأجر كما قال عليـه الصلاة والسـلام.. «عائـد المريض في مخـرفة الجنـة حتى يرجع»[2].

● ومنها إذا أراد المسلم الأكل أن يـذكر اسم الله.. ويـأكل بيمينـه.. ويأكـل مما يليه كما قال النبـي ﷺ.. «يـا غلام سم الله، وكـل بيمينك، وكـل مما يليك»[3].

● ومنها أن يقول بعد فراغـه من الطعـام.. كما قـال النبـي ﷺ.. «الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً غير مكفي ولا مودع ولا مستغني عنه ربنا»[4].

● ● ● ● ●

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد برقم ١٢٤٦.
(٢) رواه مسلم برقم ٢٥٦٨.
(٣) متفق عليه، أخرجه مسلم برقم ٢٠٢٢.
(٤) أخرجه البخاري، ٥٤، باب الأطعمة.

الأخـلاق الإسلاميـة

- الإسلام دين الآداب الحسنة والأخلاق الكريمة.. والصفات النبيلة..
- وقـد تمثلت الآداب والأخلاق الإسـلاميـة في نبينـا محمـد ﷺ الـذي كـان أحسن الناس خَلقاً وخُلقاً..
- قالت عنه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «كان خلقه القرآن».

يحل حلالـه.. ويحرم حـرامه.. ويتـأدب بآدابـه.. ويقف عند حـدوده.. ويتخلق بأخلاقه حتى قال عنه ربه ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾ [القلم/٤].

- وقد رغب الإسلام في جميع الأخلاق الكريمة، والصفـات النبيلة كالصـدق والصبـر.. والعـدل والإحســان.. والحب والكـرم.. والحلم والعفــو.. والـرحمة والـرفق.. والأخوة والتعـاون.. والحياء والـوفاء.. والتـواضع.. وأداء الأمانة.. وحسن المعاملة.. وصلة الأرحام.
- أمر الله سبحانه بالصدق بقوله.. ﴿يا أيها الذين آمنـوا اتقوا الله وكـونوا مـع الصادقين﴾ [التوبة/١١٩].

وقال عليه الصلاة والسلام «إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهـدي إلى الجنة وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقاً»(١).

- وأمر الله المؤمنين بالصبر بقوله ﴿يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾ [آل عمران/٢٠٠].

---

(١) رواه البخاري ٦٠٩٤.

والصابر في الآخرة يأخذ أجره بلا حساب ﴿إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾ [الزمر/١٠].

- وأمر الله بالعدل بقوله ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان﴾ [النحل/٩٠].

والعدل في الإسلام واجب في جميع الأحوال حتى مع الأعداء.. ﴿ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون﴾ [المائدة/٨].

- وأمر الله بالإحسان بقوله ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان﴾ [النحل/٩٠].

وقوله سبحانه.. ﴿وأحسنوا إن الله يحب المحسنين﴾ [البقرة/١٩٥].

- وحث النبي عليه الصلاة والسلام على المحبة بقوله.. «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»[١].

- والمحبة سبب لدخول الجنة.. قال عليه الصلاة والسلام «لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم»[٢].

- وكان رسول الله ﷺ أكرم الناس وأجود الناس وخاصة في رمضان فهو أجود بالخير من الريح المرسلة.

وقال عليه الصلاة والسلام «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه»[٣].

- ووصف الله أهل الجنة بقوله.. ﴿الذين ينفقون في السراء والضراء

---

(١) متفق عليه أخرجه البخاري برقم ١٣.

(٢) رواه مسلم برقم ٥٤.

(٣) رواه مسلم برقم ٤٨.

والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين﴾ [آل عمران/١٣٤].

- والحلم والأناة صفتان محبوبتان قال عليه الصلاة والسلام لأشج عبد القيس «إن فيك خصلتين يحبهما الله الحلم والأناة»[١].

- وأمر الله بالعفو بقوله ﴿خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين﴾ [الأعراف/١٩٩].

وجعل الله العفو والصفح سبباً لمغفرة الذنوب.. ﴿وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم﴾ [التغابن/١٤].

- والرحمة خلق المؤمنين.. ﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾ [الفتح/٢٩].

وقال عليه الصلاة والسلام «من لا يرحم الناس لا يرحمه الله عز وجل»[٢].

- وفي الرفق قال عليه الصلاة والسلام «إن الرفق لا يكون في شيء إلَّا زانه ولا ينزع من شيء إلَّا شانه»[٣].

والله يحب الرفق وأهله قال عليه الصلاة والسلام «إن الله يحب الرفق في الأمر كله»[٤].

- والمؤمنون أخوة قال تعالى ﴿إنما المؤمنون أخوة فأصلحوا بين أخويكم﴾ [الحجرات/١٠].

---

(١) رواه مسلم برقم ١٨.
(٢) رواه مسلم برقم ٢٣١٩.
(٣) رواه مسلم برقم ٢٥٩٤.
(٤) رواه مسلم برقم ٢١٦٥.

وقال عليه الصلاة والسلام «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته»[1].

- والتعاون أساس المجتمع الإسلامي وقد أمر الله به بقوله ﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب﴾ [المائدة/٢].

والمجتمع الإسلامي مجتمع متماسك يشد بعضه بعضاً..

قال عليه الصلاة والسلام «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»[2].

- والحياء شعبة من شعب الإيمان.. وكان رسول الله ﷺ أشد حياء من العذراء في خدرها.. قال عليه الصلاة والسلام «الحياء بضع وستون شعبة والحياء شعبة من الإيمان»[3].

وقال عليه الصلاة والسلام «الحياء لا يأتي إلاَّ بخير»[4].

- وفي الوفاء قال تعالى.. ﴿يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود﴾ [المائدة/١].
- وفي التواضع قال عليه الصلاة والسلام.. «ما تواضع أحد لله إلاَّ رفعه»[5].
- وقد أمر الله بأداء الأمانات بقوله ﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها﴾ [النساء/٥٨].

---

(١) متفق عليه أخرجه البخاري برقم ٤٦ كتاب المظالم.
(٢) رواه مسلم برقم ٢٥٨٦.
(٣) متفق عليه رواه البخاري برقم ٢٩.
(٤) متفق عليه أخرجه مسلم برقم ٣٧.
(٥) رواه مسلم برقم ٢٥٨٨.

● وفي حسن المعاملة.. وحُسن الخلق قوله سبحانه ﴿ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وما يلقاها إلاَّ الذين صبروا وما يلقاها إلاَّ ذو حظ عظيم﴾ [فصلت/٣٤/٣٥].

وقوله سبحانه ﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾ [الأعراف/١٩٩].

● وقطع صلة الأرحام سبب للحرمان من الجنة.. قال عليه الصلاة والسلام «لا يدخل الجنة قاطع»[1].

وفي صلة الرحم يقول سبحانه ﴿وأولوا الأرحام بعضم أولى ببعض في كتاب الله﴾ [الأنفال/٧٥].

وقال عليه الصلاة والسلام.. «من سره أن يبسط له في رزقه أو ينسأ له في أثره فليصل رحمه»[2].

● وقد حذر الله ورسوله من جميع الأخلاق السيئة والصفات القبيحة. كالظلم والكذب.. والغدر والخيانة.. والغيبة والنميمة.. والرياء والنفاق.. والكبر والحسد.. والبغي واللعن.. والشح والبخل.. والغضب والقطيعة.. وسوء الظن وسائر الفواحش والآثام..

● فقد حذر الله من الظلم بقوله ﴿ومن يظلم منكم نذقه عذاباً كبيراً﴾ [الفرقان/١٩].

وأعظم الظلم الشرك بالله كما قال سبحانه ﴿إن الشرك لظلم عظيم﴾ [لقمان/١٣].

---

(١) متفق عليه رواه مسلم برقم ٢٥٥٦.

(٢) رواه مسلم برقم ٢٥٥٧.

وقال عز وجل في الحديث القدسي. . «يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا»(١).

● وحذر الله من الكذب بقوله. . ﴿ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذب بالحق لما جاءه أليس في جهنم مثوىً للكافرين﴾ [العنكبوت/٦٨].

وقال عليه الصلاة والسلام «إن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً»(٢).

● والغدر صفة ذميمة يعاقب عليه صاحبه يوم القيامة أمام الخلائق. . قال عليه الصلاة والسلام «إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة يرفع لكل غادر لواء فقيل هذه غدرة فلان بن فلان»(٣).

● وحذر الله من الخيانة بقوله ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون﴾ [الأنفال/٢٧].

● وحرم الله الغيبة بقوله ﴿ولا يغتب بعضكم بعضاً أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم﴾ [الحجرات/١٢].

والغيبة: هي ذكرك أخاك بما يكره.

● والنميمة: هي نقل الحديث بين الناس على وجه الإفساد بينهم وهي محرمة. . قال عليه الصلاة والسلام «لا يدخل الجنة نمام»(٤).

---

(١) رواه مسلم برقم ٢٥٧٧.

(٢) رواه البخاري برقم ٦٠٩٤.

(٣) رواه مسلم برقم ١٧٣٥.

(٤) متفق عليه أخرجه مسلم برقم ١٠٥.

● والرياء فعل الشيء الحسن، ليراه الناس فيثنون على صاحبه وهو منهيٌّ عنه.. وقد ذم الله المنافقين به فقال ﴿وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراؤن الناس ولا يذكرون الله إلاَّ قليلاً﴾ [النساء/١٤٢].

وقال عليه الصلاة والسلام «من سمع سمع الله به، ومن راءى راءى الله به»[1].

● والنفاق صفة قبيحة وهو أن يظهر الإنسان ما لا يبطن.. ولخطر النفاق جعل الله أهله في أسفل النار كما قال سبحانه.. ﴿إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار﴾ [النساء/١٤٥].

وعلامة المنافق بيَّنها الرسول ﷺ بقوله «آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان»[2].

● ونهى الله عن الكبر بقوله ﴿ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الأرض فرحاً إن الله لا يحب كل مختال فخور﴾ [لقمان/١٨].

وقال عليه الصلاة والسلام «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر»[3].

● والحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب.. وقد نهى عنه رسول الله ﷺ بقوله «لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخواناً»[4].

● وحذر الله من البغي والإثم والفواحش بقوله ﴿قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق﴾ [الأعراف/٣٣].

---

(١) رواه مسلم برقم ٢٩٨٦.
(٢) رواه البخاري برقم ٦٠٩٥.
(٣) رواه مسلم برقم ٩١.
(٤) متفق عليه أخرجه البخاري ٦٠٦٥.

● ولعن المؤمن لأخيه محرم قال عليه الصلاة والسلام «من لعن مؤمناً فهو كقتلة»[1].

● وحذر الله من البخل بقوله «ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شر لهم سيطوقون بما بخلوا به يوم القيامة ولله ميراث السمٰوات والأرض والله بما تعملون خبير» [آل عمران/ ١٨٠].

● والغضب نار تأكل الأخضر واليابس.. وهو محرم. قال عليه الصلاة والسلام «ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب»[2].

● والغضب لله محمود.. أما الغضب لغير الله فهو من الشيطان فعلى الإنسان أن يستعيذ بالله منه.. كما قال عليه الصلاة والسلام لرجل غضب.. «إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه مايجد لو قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم»[3].

● ونهى الله عن الفساد بكل أشكاله فقال ﴿ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها﴾ [الأعراف/٥٦].

● وحذر رسول الله ﷺ من الظن والتجسس بقوله «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخواناً»[4].

● وحذر الله من إهانة المسلم، أو احتقاره، أو شتمه أو تعييره بقوله سبحانه.. ﴿يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسىٰ أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون﴾ [الحجرات/١١].

---

(١) متفق عليه أخرجه البخاري برقم ٦٠٤٧.

(٢) رواه مسلم برقم ٢٦٠٩.

(٣) متفق عليه أخرجه البخاري برقم ٧٨ كتاب الأدب.

(٤) متفق عليه رواه مسلم برقم ٢٥٦٣.

نعم الله لا تعد ولا تحصىٰ

- خلقنا الله في أحسن تقويم وأنعم علينا بالسمع والبصر والعقل كما قال سبحانه ﴿والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون﴾ [النحل/٧٨].
- ولما خلقنا الله لم يتركنا هملاً بل سخر لنا ما في السمٰوات وما في الأرض.. وأكرمنا بالنعم الظاهرة والباطنة ﴿ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السمٰوات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة﴾ [لقمان/٢٠].
- وقد أعطانا الله من كل شيء.. وأنعم علينا بنعم كثيرة لا تعد ولا تحصى كما قال سبحانه ﴿وآتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار﴾ [إبراهيم/٣٤].
- والله وحده هو الرزاق لا رب سواه.. ولا رازق غيره ﴿يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض لا إلٓه إلاَّ هو فأنى تؤفكون﴾ [فاطر/٣].
- والأرزاق كلها مادية كانت أو معنوية من الله.. وقد قسمها سبحانه بين سائر الخلائق من الإنس والجن وكل ذي روح.... ولن تموت نفس حتى تستكمل رزقها الذي كتبه الله لها كما قال سبحانه.. ﴿أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض

درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً ورحمة ربك خير مما يجمعون﴾ [الزخرف/٣٢].

- وقد خلقنا الله وتكفل برزقنا ورزق كل ما يدب على وجه الأرض كما قال سبحانه ﴿وما من دابة في الأرض إلاَّ على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها﴾ [هود/٦].
- وخزائن الأرزاق والنعم وكل ما يحتاجه الخلق عند رب العالمين.. ﴿وإن من شيء إلاَّ عندنا خزائنه وما ننزله إلاَّ بقدر معلوم﴾ [الحجر/٢١].
- والله سبحانه عليم بعباده.. يعطيهم من الأرزاق ما يناسبهم ويصلحهم ﴿الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر إن الله بكل شيء عليم﴾ [العنكبوت/٦٢].
- وبسط الرزق لجميع أفراد الأمة يسبب البغي والفساد.. ولكن الله العليم الخبير ينزل بقدر ما يشاء.. ﴿ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض ولكن ينزل بقدر ما يشاء إنه بعباده خبير بصير﴾ [الشورى/٢٧].
- والله رب العالمين.. خلق الخلق أجمعين مؤمنهم وكافرهم.. وتكفل برزقهم أجمعين لأنه لا رازق لهم إلاَّ الله ﴿كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظوراً﴾ [الإسراء/٢٠].
- ونعم الله لا ينبغي أن يتمتع بها إلاَّ من أطاعه.. ولكن الله حليم كريم ينعم في الدنيا على من أطاعه، وعلى من عصاه، لأنه لا رازق غيره.. أما في الآخرة فالنعيم خاص بالمؤمنين دون غيرهم كما قال سبحانه.. ﴿قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون﴾ [الأعراف/٣٢].

● والخلق والأمر لله وحده. . وليس لأحد من البشر أن يحلل أو يحرم إلَّا ما أحله الله ورسوله، أو حرمه الله ورسوله قال تعالى ﴿قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراماً وحلالاً قل الله أذن لكم أم على الله تفترون﴾ [يونس/٥٩].

● والله خلقنا وهو الذي يعلم ما ينفعنا وما يضرنا. . ومن فضل الله علينا أن أحل لنا الطيبات، وحرم علينا الخبائث، وكل ما فيه ضرر. . ﴿يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون. إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم﴾ [البقرة/١٧٢ ـ ١٧٣].

● ومن أكبر النعم وأعظمها الهداية للإسلام كما قال سبحانه ﴿يمنون عليك أن اسلموا قل لا تمنوا على إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين﴾ [الحجرات/١٧].

● وقد أباح الله للمسلم أن يتزوج من نساء أهل الكتاب. . وأن يأكل من أطعمتهم كما قال سبحانه ﴿وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم﴾ [المائدة/٥].

● ومن نعم الله علينا ما ذكره الله بقوله ﴿والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون﴾ [النحل/ ٧٢].

● والله سبحانه يستحق منا الحمد والشكر. . وشكر النعم يكون باستعمالها فيما أباح الله، وفيما يرضيه، وشكر الله على نعمه يزيدها. . والكفر بالنعم يعرض الأمة للهلاك كما قال سبحانه ﴿وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد﴾ [إبراهيم/٧].

- وإذا كفر الناس بنعم الله ولم يشكروها عاقبهم الله بضدها من الجوع والخوف كما قال سبحانه ﴿وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون﴾ [النحل/١١٢].
- والله سبحانه عليم حكيم لا يُغير نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم بأن يرتكبوا الذنوب والمعاصي فيعاقبهم الله بذنوبهم كما قال سبحانه ﴿ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وأن الله سميع عليم﴾ [الأنفال/٥٣].
- ومن شكر نعمة الله في العلم تعليمه للناس.. ومن شكر نعمة الله في المال إنفاقه في سبيل الله.. ومن شكر نعمة الله في صحة البدن استعماله فيما يرضي الله، وفي الجهاد في سبيل الله، ولذلك أجر عظيم عند الله كما قال سبحانه.. ﴿وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوفَّ إليكم وأنتم لا تظلمون﴾ [الأنفال/٦٠].

● ● ● ● ●

المحرمات في الإسلام

- الأمة الإسلامية هي خير الأمم وأعزها وأكرمها على الله عز وجل كما قال سبحانه ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾ [آل عمران/ ١١٠].
- وقد أباح الله لهذه الأمة كل ما ينفعها ويحفظها.. في دينها ودنياها.. وفي أرواحها وأبدانها.. فقد أحل الله لنا جميع الطيبات.. وحرم علينا جميع الخبائث.. وأباح لنا كل ما فيه نفع.. ونهانا عن كل ما فيه ضرر.. وأمرنا بالأخلاق الحسنة، وحذرنا من الأخلاق السيئة.. ﴿يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالاً طيباً ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين﴾ [البقرة/١٦٨].
- والملك لله وحده.. خلقنا وعَلِم ما ينفعنا فأحله لنا.. وعلم ما يضرنا فحرمه علينا، وقد حذرنا الله من القول عليه بلا علم، أو إباحة الحرام.. أو تحريم الحلال فقال: ﴿ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون. متاع قليل ولهم عذاب أليم﴾ [النحل/١١٦ ــ ١١٧].
- وقد حرمت الشريعة الإسلامية جملة من المحرمات التي تضر النفس والروح.. وتفسد العقل والبدن.. وتهلك الفرد والمجتمع.. وجعلت لذلك عقوبة رادعة في الدنيا والآخرة.. ومن تلك المحرمات.

- أن الله حرم الشرك بقوله ﴿وآعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً﴾ [النساء/٣٦].

وعقوبة الشرك بالله ذكرها الله بقوله ﴿إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار﴾ [المائدة/٧٢].

- وحرم الله الفواحش، والإثم، والبغي، والأخلاق السيئة بقوله ﴿قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون﴾ [الأعراف/٣٣].

- وحرم الله قتل النفس ظلماً بقوله ﴿ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلاَّ بالحق﴾ [الإسراء/٣٣].

وعقوبة القتل عمداً إن لم يتب، أو يُقتص منه ذكرها الله بقوله ﴿ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعدَّ له عذاباً عظيماً﴾ [النساء/٩٣].

- وحرم الله الميتة والدم ولحم الخنزير وما لم يذكر اسم الله عليه بقوله ﴿إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فإن الله غفور رحيم﴾ [النحل/١١٥].

- وحرم الله الظلم وذكر عقوبته بقوله ﴿ومن يظلم منكم نذقه عذاباً كبيراً﴾ [الفرقان/١٩].

- وحرم الله الربا لما فيه من الظلم العظيم بقوله ﴿وأحل الله البيع وحرم الربا﴾ [البقرة/٢٧٥].

والربا كسب لا بركة فيه، بل يمحقه الله.. وقد توعد الله أكلة الربا بقوله ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين. فإن

لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون﴾ [البقرة/٢٧٨/ ـ ٢٧٩].

● وحرم الله أكل الأموال بالباطل بقوله ﴿ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل﴾ [البقرة/١٨٨].

● وحرم الله الخمر والميسر والأوثان والقمار بقوله ﴿يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون﴾ [المائدة/ ٩٠].

● وحرم الله السرقة حفظاً لأموال الناس.. ووضع لها حداً بقوله.. ﴿والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاءً بما كسبا نكالاً من الله والله عزيز حكيم﴾ [المائدة/٣٨].

● وحرم الله الزنا لما فيه من فساد الأعراض، والأنساب، والأبدان فقال ﴿الزاني لا ينكح إلَّا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلَّا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين﴾ [النور/٣].

وعقوبة من زنا الرجم إن كان محصناً.. والجلد مائة جلدة إن كان غير محصن قال تعالى ﴿الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله﴾ [النور/٢].

● وأرسل الله رسوله ﷺ لهذه الأمة: ﴿يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم﴾ [الأعراف/١٥٧].

● وقد حرم الله نكاح النساء إلَّا بعقد شرعي.. أو ملك يمين.. وحرم الله نكاح جملة من النساء، من قرابة الرجل من جهة النسب، ومن غير جهة النسب. والحكمة أن النكاح إذلال وإهانة فوجب صيانة الأمهات، والبنات

وغيرهن عنه. . كما أن النكاح قد يفضي إلى الطلاق، فتنقطع صلة الأرحام التي أمر الله بوصلها. . وقد حرم الله نكاح سبع من النسب، وسبع من غير جهة النسب بقوله سبحانه ﴿حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة وأمهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم وأن تجمعوا بين الأختين إلَّا ما قد سلف إن الله كان غفوراً رحيماً﴾ [النساء/٢٣].

- وقد بين الله ورسوله لنا جميع الأحكام. . من العبادات والمعاملات. . والحلال والحرام. . وأمرنا بالإلتزام بذلك. . ونهى عن تعدي الحدود التي وردت في الكتاب والسنة كما قال سبحانه. . ﴿ومن يتعدَّ حدود الله فأولئك هم الظالمون﴾ [البقرة/٢٢٩].

● ● ● ● ●

سماحة الإسلام

- الإسلام دين الرحمة والرأفة.. دين السماحة واليسر..

ولم يكلف الله هذه الأمة إلَّا بما تستطيع.. وما عملت من خير فلها ثوابه.. وما عملت من شر فعليها وزره كما قال سبحانه ﴿لا يكلف الله نفساً إلَّا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت﴾ [البقرة/٢٨٦].

- وقد رفع الله عن المسلمين المشقة والحرج في جميع التكاليف قال تعالى.. ﴿هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾ [الحج/٧٨].

- وكل ذنب وقع فيه المسلم بسبب الخطأ، أو النسيان، أو الإكراه فإنه من جانب الله معفو عنه كما قال سبحانه ﴿ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا﴾ [البقرة/٢٨٦].

فقال الله قد فعلت..

- وإنما يحاسب المسلم على العمد دون الخطأ كما قال سبحانه: ﴿وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم﴾ [الأحزاب/٥].

- والله رؤوف رحيم بعث محمداً ﷺ باليسر والحنيفية السمحة: ﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾ [البقرة/١٨٥].

وقال عليه الصلاة والسلام «إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلَّا غلبه

فسددوا وقاربوا وأبشروا»[1].

● والشيطان أكبر عدو للإنسان يُنسيه ذكر ربه ويزين له معصيته كما قال سبحانه ﴿استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون﴾ [المجادلة/١٩].

● وحديث النفس قد عفا الله عنه كما قال عليه الصلاة والسلام «إن الله تجاوز لأمتي ما حدثت به أنفسها ما لم يتكلموا أو يعملوا به»[2].

● ومن عمل معصية ثم سترها الله عليه فلا يجوز له التحدث بها لقوله عليه الصلاة والسلام «كل أمتي معافاة إلاَّ المجاهرين»[3].

● وإذا أذنب الإنسان ثم تاب تاب الله عليه ﴿كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه من عمل منكم سوءاً بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فإنه غفور رحيم﴾ [الأنعام/٥٤].

● والله جواد كريم.. يضاعف الحسنات.. ويعفو عن السيئات كما قال عليه الصلاة والسلام فيما يرويه عن ربه عز وجل.. قال: «إن الله كتب الحسنات والسيئات، ثم بين ذلك، فمن همَّ بحسنة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة، فإن هو همَّ بها فعملها كتبها الله له عنده عشر حسنات، إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة، ومن هم بسيئة فلم يعملها، كتبها الله له عنده حسنة كاملة، فإن هو همَّ بها فعملها كتبها الله له سيئة واحدة»[4].

● ● ● ● ●

---

(١) رواه البخاري برقم ٣٩.
(٢) رواه مسلم برقم ١٢٧.
(٣) رواه مسلم برقم ٢٩٩٠.
(٤) متفق عليه أخرجه البخاري ٨١ كتاب الرقائق.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

- الإنسان كثير النسيان. . كثير الخطأ. . النفس تأمره بالسوء. . والشيطان يغريه بالمعاصي. . وإذا كانت الأجسام تمرض، وتصيبها العلل والآفات. . وذلك يستلزم وجود الطبيب، الذي يصف الدواء المناسب، لتعود الأجسام إلى اعتدالها. . فكذلك النفوس، والقلوب تصيبها أمراض الشهوات والشبهات فتقع فيما حرم الله. . من سفك الدماء. . واستباحة الفروج. . وشرب الخمور. . وظلم الناس. . وأكل أموالهم بالباطل. . والصد عن سبيل الله. . والكفر بالله.

- أمراض القلوب أشد خطراً من أمراض الأجسام. . وذلك يستلزم وجود الطبيب الماهر. . ولكثرة أمراض القلوب، وما ينشأ عنها من الشرور والفساد كلف الله المؤمنين بعلاج تلك الأمراض، بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر فقال: ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾ [آل عمران/١٠٤].

- والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر من أسمى الوظائف الإسلامية. . بل هي أشرفها وأعلاها، وهي وظيفة الأنبياء والرسل عليهم السلام كما قال سبحانه. . ﴿رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل﴾ [النساء/١٦٥].

- وقد جعل الله الأمة الإسلامية خير أمة أخرجت للناس لقيامها بهذه الوظيفة

العظيمة. . كما قال سبحانه. . ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾ [آل عمران/١١٠].

- وإذا عطلت الأمة شعيرة الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، انتشر الظلم والفساد في الأمة. . واستحقت لعنة الله. . وقد لعن الله الذين كفروا من بني إسرائيل، لتعطيلهم هذه الشعيرة العظيمة، كما قال سبحانه ﴿لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون﴾ [المائدة/٧٨].
- والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر أصل من أصول هذا الدين. . والقيام بهما جهاد في سبيل الله. . والجهاد يحتاج إلى تحمل المشاق. . والصبر على الأذى كما قال لقمان لابنه. . ﴿يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وأنه عن المنكر وأصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور﴾ [لقمان/١٧].
- والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر رسالة عظيمة. . لذا يجب على من يقوم بها أن يتحلى بالأخلاق الكريمة. . ويعرف مقاصد الشرع. . ويدعو الناس بالحكمة والموعظة الحسنة. . ويعاملهم باللين واللطف لعل الله يهدي من يشاء على يديه قال تعالى ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين﴾ [النحل/١٢٥].
- والأمة التي تقيم شعائر الإسلام، وتأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، تفوز بالسعادة في الدنيا والآخرة. . ويتنزل عليها نصر الله وتأييده كما قال سبحانه ﴿ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز. الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور﴾ [الحج/ ٤٠ ـ ٤١].

- والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر رسالة لا تنقطع إلى أن تقوم الساعة. . وهي واجبة على جميع الأمة رعاة ورعية. . رجالاً ونساءً كل حسب حاله قال عليه الصلاة والسلام «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»[1].

- والأمة الإسلامية أمة واحدة. . فإذا انتشر الفساد فيها. . وساءت أحوالها وجب على جميع المسلمين، القيام بالإصلاح. . وإزالة المنكرات. . والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر. . وبذل النصيحة لكل أحد. . قال عليه الصلاة والسلام «الدين النصيحة قلنا لمن؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»[2].

- وإذا أمر المسلم بشيء، ينبغي أن يكون أسرع الناس إليه. . وإذا نهى عن شيء، ينبغي أن يكون أبعد الناس عنه، وقد توعد الله من خالف ذلك بقوله ﴿يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾ [الصف/٣].

- والإنسان مهما استقام، فهو محتاج إلى النصح، والتوجيه، والتذكير على ضوء الكتاب والسنة. . وقد قال الله لرسول رب العالمين، وأكمل الخلق أجمعين. . ﴿يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين إن الله كان عليماً حكيماً﴾ [الأحزاب/١].

- فعلينا جميعاً الأمر بالمعروف. . والنهي عن المنكر لنفوز برضا الله وجنته.

● ● ● ● ●

---

(١) رواه مسلم برقم ٤٩.

(٢) رواه مسلم برقم ٩٥.

التــوبــة

- يضعف إيمـان المسلم ويغلبه الهـوى. . ويـزين لـه الشيـطان المعصيـة. . فيظلم نفسه. . ويقع فيما حرم الله. . والله لطيف بالعباد. . ورحمته وسعت كـل شيء. . فمن تاب بعـد ظلمه فـإن الله يتوب عليـه ويغفر لـه كما قـال سبحانه ﴿فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فإن الله يتـوب عليه إن الله غفـور رحيم﴾ [المائدة/ ٣٩].
- والله عفو كريم. . أمر جميع المؤمنين بـالتوبـة النصوح ليفـوزوا برحمـة الله وجنّته فقال ﴿يا أيها الذين آمنوا تـوبوا إلى الله تـوبة نصـوحاً عسى ربكم أن يكفـر عنكم سيِّئـاتكم ويـدخلكم جنـات تجـري من تحتهـا الأنهـار﴾ [التحريم/٨].
- وبـاب التوبـة مفتوح للعبـاد، حتى تـطلع الشمس من مغـربهـا، قـال عليـه الصـلاة والسلام «إن الله عـز وجل يبسط يـده بالليـل ليتوب مسيء النهـار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها»(١).
- والتوبة النصوح ليست كلمة تقال باللسان. . بل يشتـرط في قبول التـوبة أن يقلع صـاحبها عن الـذنب فوراً. . ويندم على مـا فـات. . ويعـزم على أن لا يعود إلى ما تاب منه. . وأن يرد المظالم أو الحقـوق إن كانت لأهلهـا. . وأن تكون التوبة قبل معاينة الموت. . قال تعـالى. . ﴿إنما التـوبة على الله

---

(١) رواه مسلم برقم ٢٧٥٩.

للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليماً حكيماً * وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إنِّي تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك أعتدنا لهم عذاباً أليماً﴾ [النساء/ ١٧ ــ ١٨].

● والله تواب رحيم، يدعو أصحاب الذنوب إلى التوبة، ليغفر لهم ﴿كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه من عمل منكم سوءاً بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فأنه غفور رحيم﴾ [الأنعام/٥٤].

● والله رؤف بالعباد، يحب التائبين.. ويقبل توبتهم كما قال سبحانه ﴿وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون﴾ [الشورى/٢٥].

● وقال سبحانه: ﴿إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾ [البقرة/٢٢٢].

● والكافر إذا أسلم.. يبدل الله سيئاته حسنات.. ويغفر له ما سلف من ذنوب كما قال سبحانه: ﴿قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف﴾ [الأنفال/٣٨].

● والله غفور رحيم يحب التوبة من عباده، ويأمرهم بها ليغفر لهم.. وشياطين الإنس والجن يريدون أن يميلوا بالناس من الحق إلى الباطل كما قال سبحانه.. ﴿والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلاً عظيماً﴾ [النساء/٢٧].

● ورحمة الله وسعت كل شيء.. فإذا عظمت ذنوب العبد.. وأسرف على نفسه في المعاصي، والآثام، ثم تاب.. فإن الله يتوب عليه.. ويغفر ذنوبه مهما بلغت كما قال سبحانه ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم﴾ [الزمر/٥٣].

وقال عليه الصلاة والسلام «ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا، حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له»[1].

- والنفس ضعيفة.. فإذا أذنب الإنسان فعليه بالتوبة والاستغفار كل حين فإن الله غفور رحيم وهو القائل: ﴿ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً﴾ [النساء/ ١١٠].
- والمسلم عُرضة للأخطاء والمعاصي.. فينبغي له الإكثار من التوبة والإستغفار.. قال عليه الصلاة والسلام «والله إني لأستغفر الله، وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة»[2].
- والله يحب من عبده التوبة، ويقبلها، بل يفرح بها كما قال النبي عليه الصلاة والسلام «الله أفرح بتوبة عبده من أحدكم، سقط على بعيره، وقد أضله في أرض فلاة»[3].

● ● ● ● ●

---

(١) رواه مسلم برقم ٧٥٨.

(٢) رواه البخاري برقم ٦٣٠٧.

(٣) متفق عليه أخرجه البخاري برقم ٦٣٠٩.

الدعـوة إلـى الإسـلام

- خلق الله الإنسان، وأسكنه في الأرض.. ولم يتركه سـدىً.. بل أوجـد له مـا يحتاجـه من طعام وشـراب ولباس.. وأنـزل عليـه في مختلف العصـور منهجاً يسير على هديه، وصلاح البشرية وسعادتها في كل زمان ومكان إنمـا يكون باتباع منهج الله وطرح ما سواه ﴿وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعـوا السبـل فتفـرق بكم عن سبيله ذلكم وصـاكم بـه لعلكم تهتـدون﴾ [الأنعام/١٥٣].

- والإسـلام آخـر الأديـان السمـاويـة.. والقـرآن آخـر الكتب السمـاويـة ومحمـد ﷺ آخر الأنبيـاء والرسـل وقد أمـره الله أن يبلغ هذا الـدين إلى النـاس كـافـة ﴿وأوحى إليّ هـذا القـرآن لأنـذركم بـه ومن بلغ﴾ [الأنعام/١٩].

- وقـد أرسل الله رسـوله محمـداً ﷺ بالإسـلام إلى النـاس جميعـاً كمـا قـال سبحـانـه.. ﴿قـل يـا أيهـا النـاس إني رسـول الله إليكم جميعـاً﴾ [الأعراف/١٥٨].

- والدعوة إلى الإسـلام هي أفضل الأعمـال، لما فيهـا من هدايـة الناس إلى الصـراط المستقيم.. وإرشـادهم إلى مـا يسعـدهم في الـدنيـا والآخـرة ﴿ومن أحسن قـولاً ممن دعـا إلى الله وعمـل صـالحـاً وقـال إنني مـن المسلمين﴾ [فصلت/٣٣].

● والدعوة إلى الإسلام رسالة شريفة.. وهي وظيفة الأنبياء الرسل وقد بين الرسول ﷺ أن رسالته في الحياة، ورسالة أتباعه، هي الدعوة إلى الله، قال تعالى.. ﴿قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين﴾ [يوسف/١٠٨].

● والمسلمون عامة.. والعلماء خاصة، مأمورون بالدعوة إلى الإسلام كما قال سبحانه ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾ [آل عمران/١٠٤].
وقال عليه الصلاة والسلام.. «بلغوا عني ولو آية»[١].

● والدعوة إلى الله رسالة عظيمة ومهمة جليلة.. إذ هي دعوة الناس إلى عبادة الله وحده.. ونقلهم من الظلمات إلى النور.. وزرع الخير مكان الشر والحق مكان الباطل، لذا يحتاج من يقوم بها إلى العلم والفقه.. والصبر والحلم.. واللين والرفق.. وبذل المال والنفس.. ومعرفة الأحوال والعادات.

قال تعالى ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين﴾ [النحل/١٢٥].

وقد امتن الله على رسوله بقوله: ﴿فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر﴾ [آل عمران/١٥٩].

● والداعية قد يتعرض في دعوته للجدل، وخاصة مع أهل الكتاب.. وقد أمرنا الله حين يصل الأمر إلى الجدال، أن نجادل بالتي هي أحسن وذلك

---

(١) أخرجه البخاري برقم ٣٤٦١.

بالرفق واللين. . وعرض مبادىء الإسلام كما جاءت نقية صافية بلطف بلا إكراه كما قال تعالى. . ﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلَّا بالتي هي أحسن إلَّا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلٓهنا وإلٓهكم واحد ونحن له مسلمون﴾ [العنكبوت/٤٦].

● وللدعوة إلى الله فضل عظيم وأجر جزيل قال عليه الصلاة والسلام. . «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم، مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً»(١).

● وإذا كان البناء المادي يحتاج إلى جهد وصبر حتى يكتمل. . فإن بناء النفوس، وحملها على الحق، يحتاج إلى الصبر والتضحية. . وقد دعا الرسول ﷺ إلى الإسلام، فصبر على أذى الكفار، واليهود، والمنافقين. . فقد استهزؤوا به. . وكذبوه، وآذوه. . ورموه بالحجارة. . وقالوا إنه ساحر أو مجنون. . واتهموه بأنه شاعر أو كاهن. . فصبر عليه السلام على كل هذا حتى نصره الله، وأظهر دينه فعلىٰ الداعية أن يقتدي به ﴿فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون﴾ [الروم/٦٠].

● فالواجب على المسلمين الاقتداء برسولهم، والسير على هديه. . والدعوة إلى الإسلام، والصبر على الأذى في سبيل الله، كما فعل رسولهم ﷺ. ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً﴾ [الأحزاب/٢١].

● ولا صلاح ولا سعادة للأمة إلا بإتباع هذا الدين ولذلك أمر الله بإبلاغه للناس كافة. . كما قال سبحانه. . ﴿هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا أنما هو إلٓه واحد وليذكر أولوا الألباب﴾ [إبراهيم/٥٢].

---

(١) رواه مسلم برقم ٢٦٧٤.

لا إكراه في الدين

- خلق الله الإنسان.. وزوده بالعقل.. وأنزل عليه الوحي.. وأرسل إليه الرسل.. ودعاه إلى الحق.. وحذره من الباطل.. ثم تركه يختار ما يريد.. ﴿وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾ [الكهف/٢٩].

- وقد أمر الله رسوله محمداً ﷺ أن يبين الحق للناس كافة.. ولهم الخيار فيما يرغبون.. فمن أطاع نفع نفسه.. ومن عصى ضر نفسه كما قال سبحانه ﴿قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها وما أنا عليكم بوكيل﴾ [يونس/١٠٨].

- والإسلام دين الفطرة.. دين العقل والفكر.. وقد بين الله الحق من الباطل وأمر بكل خير.. وحذر من كل شر.. وأحل الطيبات.. وحرم الخبائث.. ولا إكراه في الدين.. لأن المصلحة أو المفسدة تعود إلى الخلق لا إلى الخالق.. قال تعالى ﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقىٰ﴾ [البقرة/٢٥٦].

وقال سبحانه ﴿من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد﴾ [فصلت/٤٦].

- والهداية بيد الله.. ولو شاء الله لهدى الناس جميعاً، فإنه سبحانه لا يعجزه

شيء في الأرض، ولا في السماء.. ولا يجري في ملكه إلاَّ ما يريد.. ﴿قل فللَّه الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين﴾ [الأنعام/١٤٩].

ولكن حكمته سبحانه، اقتضت أن يخلقنا مختارين.. وينزل علينا الهدي والفرقان.. فمن أطاع الله ورسوله دخل الجنة.. ومن عصى الله ورسوله دخل النار كما قال سبحانه ﴿قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها وما أنا عليكم بحفيظ﴾ [الأنعام/١٠٤].

- وليس للرسول ﷺ من الهداية شيء.. وإنما عليه وعلى المسلمين البيان والبلاغ والدلالة على الهدي.. وعدم الإكراه عليه كما قال سبحانه لرسوله ﷺ ﴿ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين﴾ [يونس/٩٩].

وقال سبحانه ﴿وما على الرسول إلاَّ البلاغ المبين﴾ [العنكبوت/١٨].

- والهداية إلى الحق بيد الله وحده.. وليس لأحد من البشر فيها من نصيب كما قال سبحانه لرسوله عليه الصلاة والسلام ﴿إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء﴾ [القصص/٥٦].

- والله يهدي من يشاء.. ويضل من يشاء.. وقد أخبرنا سبحانه أنه يهدي من أطاعه، وأقبل عليه كما قال سبحانه ﴿والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم﴾ [محمد/١٧].

ومن عصى الله، وأعرض عنه، فإن الله لا يهديه كما قال سبحانه ﴿إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار﴾ [الزمر/٣].

- والله بكل شيء عليم.. يعلم ما كان، وما يكون، وما سيكون.. وقد علم الله المؤمنين والكافرين.. وأعمالهم، ومصيرهم في الآخرة.. وكتب ذلك كله في اللوح المحفوظ كما قال سبحانه ﴿وكل شيء أحصيناه كتاباً﴾ [النبأ/٢٩].

- وقد خلق الله الإنسان مختاراً.. وخلقه صالحاً للعمليتين.. الإيمان أو الكفر كما قال سبحانه.. ﴿إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً﴾ [الإنسان/٣].

- والإنسان يكون مختاراً في دائرة العقل فقط.. فإذا فقد العقل الذي يميز بين البدائل بين الخير والشر.. بين الحق والباطل، ارتفع التكليف ولذلك رفع القلم في الشريعة الإسلامية عن المجنون حتى يفيق، وعن الصبي حتى يدرك، وعن النائم حتى يستيقظ.. فلا تكليف على أحد من هؤلاء حتى يوجد العقل الذي يميز بين البدائل.. كالإيمان والكفر.. والحق والباطل.. وهكذا.

- وحيثما اتجهت النفس كان الثواب والعقاب.. فإن أطاعت فلها الجنة.. ﴿قد أفلح من زكاها﴾ [الشمس/٩].
وإن عصت فلها النار.. ﴿وقد خاب من دساها﴾ [الشمس/١٠].
والتوجه إلى أحد الطريقين هو محل الحساب عند رب العالمين..

- وبهذا يتبين أن الإيمان والكفر.. والطاعة والمعصية باختيار العبد.. وقد جعل الله الثواب والعقاب على هذا الاختيار ﴿من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد﴾ [فصلت/٤٦].

- فمن أحب الله ورسوله.. ورغب في السعادة في الدنيا والآخرة.. فليدخل في الإسلام.. ومن رغب عن ذلك.. ورضي بالدنيا عن الآخرة ولم يسلم.. فمأواه جهنم فالمنفعة للإنسان.. والمضرة عليه.. ولا إكراه على أحدهما كما قال سبحانه.. ﴿إن هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلاً﴾ [الإنسان/٢٩].

● ● ● ● ●

من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها

- كل إنسان بما كسب رهين.. فمن آمن وعمل صالحاً دخل الجنة.. ومن كفر بالله ورسوله دخل النار قال تعالى.. ﴿إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم ناراً كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب إن الله كان عزيزاً حكيماً * والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً لهم فيها أزواج مطهرة وندخلهم ظلاً ظليلاً﴾ [النساء/ ٥٦ ـ ٥٧].

- والأعمال الصالحة، إنما تنفع صاحبها، والله غني عنها.. والأعمال السيئة إنما تضر صاحبها، ولا تضر الله شيئاً، كما قال سبحانه ﴿من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد﴾ [فصلت/٤٦].

وقال سبحانه.. ﴿ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه إن الله لغني عن العالمين﴾ [العنكبوت/٦].

- والله سبحان كريم يضاعف الحسنات.. كما قال تعالى.. ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزي إلَّا مثلها وهم لا يظلمون﴾ [الأنعام/ ١٦٠].

- والأعمال الصالحة كالصلاة والزكاة.. والصوم والحج.. والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.. والجهاد، وتلاوة القرآن وغيرها من شعائر الإسلام.. كلها جزاؤها الجنة كما قال تعالى ﴿ومن يعمل من الصالحات من ذكر

أو أنثى وهـو مؤمن فـأولئـك يـدخلون الجنـة ولا يـظلمـون نقيـراً﴾ [النساء/١٢٤].

- والأعمال السيئة والمعـاصي كالـظلم والشرك والقتـل.. والفساد والكبـر.. وغيرها من المعـاصي كلها جـزاؤها النـار إلاَّ من تاب.. قـال تعالى ﴿ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يـدخله ناراً خـالداً فيهـا وله عـذاب مهين﴾ [النساء/١٤].
- والأقوال والأعمال، خيراً كانت أو شراً، كلها مقيدة عند رب العـالمين، قال تعالى ﴿هذا كتـابنا ينـطق عليكم بالحق إنَّـا كنا نستنسـخ ما كنتم تعملون﴾ [الجاثية/٢٩].
- ولا يقبـل الله من الأعمـال إلاَّ مـا كـان خـالصـاً لله.. مـوافقـاً لهـدي رسـول الله ﷺ كما قـال سبحانـه ﴿فمن كان يـرجو لقـاء ربه فليعمـل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً﴾ [الكهف/١١٠].
- ويـوم القيامـة يرى كـل إنسـان مـا عمـل من طـاعـة أو معصيـة.. من خيـر أو شر.. كما قال سبحانه ﴿يومئذٍ يصدر الناس أشتاتاً ليروا أعمالهم * فمن يعمـل مثقال ذرة خيـراً يـره ومن يعمـال مثقـال ذرة شـراً يـره﴾ [الـزلـزلـة/٦ ـ ٨].
- وفي يوم القيامة.. كل إنسـان سيعطى كتـابه ويقـال له ﴿اقـرأ كتابـك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً﴾ [الإسراء/١٤].

فمن آمن وعمـل صالحـاً أخذ كتـابه بيمينـه مسـروراً ودخـل الجنـة.. ومن عصى الله ورسوله أخذ كتابه بشمالـه، أو من وراء ظهره، ودخـل النار كمـا قال سبحانه ﴿فأما من أوتي كتابه بيمينه * فسـوف يحاسب حسـاباً يسيـراً * وينقلب إلى أهله مسروراً * وأما من أوتي كتابه وراء ظهـره * فسوف يـدعو ثبوراً * ويصلي سعيراً﴾ [الانشقاق/ ٧ ـ ١٢].

● وشتان بين الإيمان والكفر.. وبين الطاعات والمعاصي.. وبين أهل الجنة وأهل النار.. ﴿أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون * أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى نزلاً بما كانوا يعملون * وأما الذين فسقوا فمأواهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون﴾ [السجدة/ ١٨ ــ ٢٠].

● وقد بين الله أن أهل الإيمان هم الفائزون.. وأهل الكفر هم الخاسرون كما قال سبحانه ﴿والعصر * إن الإنسان لفي خسر * إلاَّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾ [العصر/ ١ ــ ٣].

● اللهم ارزقنا الجنة.. وأجرنا من النار.. وارحمنا برحمتك يا أرحم الراحمين..

● ● ● ● ●

إن أكرمكم عند الله أتقاكم

- الناس كلهم بنو رجل واحد.. وبنو امرأة واحدة.. المؤمن والكافر.. الأبيض والأسود.. العربي والأعجمي.. الغني والفقير.. الشريف والوضيع.
- والإسلام لا يلتفت إلى الفوارق في اللون، والجنس، والنسب فالناس كلهم لآدم وآدم خلق من تراب.. وإنما يكون التفاضل في الإسلام بين الناس بالإيمان والتقوى.. بفعل ما أمر الله به.. واجتناب ما نهى الله عنه، قال تعالى ﴿يا أيها الناس إنَّا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير﴾ [الحجرات/١٣].
- والإسلام يسوي بين جميع الناس في الحقوق والواجبات.. فالناس أمام شرع الله سواء كما قال سبحانه ﴿من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾ [النحل/٩٧].
- فالإيمان، والصدق، والتقوى كله في الجنة.. وهو حق لمن تخلق به.. ولو كان أضعف الناس.. أو أدنى الناس كما قال سبحانه ﴿ومن يؤمن بالله ويعمل صالحاً يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً قد أحسن الله له رزقاً﴾ [الطلاق/١١].

- والكفر، والكبر، والطغيان كله في النار.. ولو كان صاحبه أغنىٰ الناس.. أو أشرف الناس كما قال سبحانه ﴿والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير﴾ [التغابن/١٠].

- وقد جمعت وزارة الرسول ﷺ رجالاً مسلمين.. من قبائل وأجناس وألوان شتى.. يملأ قلوبهم التوحيد.. ويجمعهم الإيمان والتقوى.. كأبي بكر القرشي.. وعلي بن أبي طالب الهاشمي.. وبلال الحبشي.. وصهيب الرومي.. وسلمان الفارسي.. والغني كعثمان.. والفقير كعمار..

وأهل الثروة.. وأهل الصفة.. وغيرهم.

وقد آمنوا بالله.. وجاهدوا في سبيله.. حتى رضي الله عنهم ورسوله.. أولئك هم المؤمنون حقاً.. ﴿جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه﴾ [البينة/٨].

● ● ● ● ●

الـدعـاء لله وحـده

- الله سبحانه وتعـالى قريب من عبـاده. . يرى مكـانهم. . ويعلم أحوالهم. . ويسمـع كلامهم. . ويستجيب دعـائهم. . ولا يخفى عليه شيء من أمـرهم كما قال سبحانه: ﴿إن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء﴾ [آل عمران/٥].
- والله وحـده هـو الـذي خلقنـا ورزقنـا. . بيـده الملك وهـو على كـل شيء قدير. . ﴿لله ملك السمٰوات والأرض وما فيهن وهو على كل شيء قديـر﴾ [المائدة/١٢٠].
- والله وحـده بيـده الخيـر. . فـإذا دعـا إلى شيء في كتـابـه أو على لسـان رسـوله ﷺ فينبغي الامتثـال لذلـك والاستجابـة له. . ﴿يـا أيها الـذين آمنوا استجيبـوا لله وللرسول إذا دعـاكم لمـا يحييكم وآعلمـوا أن الله يحـول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون﴾ [الأنفال/٢٤].
- والله على كـل شيء قديـر. . يسمع دعـاء عباده. . ويستجيب لهم في كـل زمـان ومكان. . على اختـلاف حاجـاتهم ولغاتهم كمـا قال سبحـانه ﴿وإذا سـألك عبـادي عني فإني قـريب أجيب دعوة الـداعي إذا دعانِ فليستجيبـوا وليؤمنوا بـي لعلهم يرشدون﴾ [البقرة/١٨٦].
- وقـد أمرنـا الله عز وجـل أن ندعـوه سراً بخضـوع وتذلـل كما قـال سبحانـه ﴿ادعوا ربكم تضرعاً وخفية إنه لا يحب المعتدين﴾ [الأعراف/٥٥].

- والله سبحانه له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير تسبح له السمٰوات والأرض وما فيهن. . كما قال سبحانه ﴿تسبح له السمٰوات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلَّا يسبِّح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليماً غفوراً﴾ [الإسراء/٤٤].

- وقد وعد الله من استكبر عن عبادته ودعائه بنار جهنم فقال تعالى ﴿إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين﴾ [غافر/٦٠].

- ودعاء الله يكون بما شرعه الله ورسوله. . ومن ذلك دعاء الله بأسمائه الحسنى ﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون﴾ [الأعراف/١٨٠].

فنقول يا رحمٰن ارحمنا. . يا غفور اغفر لنا. . يا رزاق ارزقنا. . وهكذا.

- وإذا دعا العبد. . فإما أن يعطيه الله ما سأل. . أو يصرف عنه سوءاً أعظم مما طلب. . أو يدخر له سؤاله في الآخرة. . ذلك أن الله أمر بالدعاء، ووعد بالإجابة فقال. . ﴿وقال ربكم ادعوني أستجب لكم﴾ [غافر/٦٠].

- وقد أمرنا الله بعبادته وحده. . وحذرنا من عبادة الشيطان فقال ﴿ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان أنه لكم عدو مبين * وأن أعبدوني هذا صراط مستقيم﴾ [يس/ ٦٠ ــ ٦١].

- ودعوة غير الله في قضاء الحاجات وتفريج الكربات. . وشفاء الأمراض. . لوث عقلي سببه عمى البصيرة. . ﴿قل أندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على أعقابنا بعد إذ هدانا الله﴾ [الأنعام/٧١].

- وإن دعاء من لا ينفع ولا يضر. . ولا يأمر ولا ينهي. . ولا يسمع ولا يستجيب، من الأنبياء والرسل. . أو الجن والملائكة. . أو الكواكب والنجوم. . أو الأشجار والأحجار. . أو الأموات . . كل ذلك ظلم عظيم. .

وضـلال عن الصراط المستقيم، وشـرك بالله العـظيم. . ﴿ولا تدع من دون الله مـا لا ينفعـك ولا يضـرك فـإن فعلت فـإنـك إذاً من الـظالمـين﴾ [يونس/١٠٦].

وقال سبحانه ﴿ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون﴾ [الأحقاف/٥].

- ودعا غير الله شرك. . والشرك ذنب عظيم. . بل هو أعظم الذنوب. . وكـل ذنب يغفـره الله لمن يشاء إلاَّ الشـرك كما قـال سبحانـه ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ [النساء/٤٨].

- ويوم القيامة يجمع الله المشـركين. . وكل من عبـدوه من دون الله. . فيتبرأ المعبودون من دون الله ممن عبدهم، ويكفـرون بشركهم كمـا قال سبحـانه ﴿والذين تدعون من دونه مـا يملكون من قـطمير * إن تـدعوهم لا يسمعـوا دعائكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثـل خبير * يـا أيها النـاس أنتم الفقـراء إلى الله والله هـو الغني الحميـد﴾ [فاطر/ ١٣ ـ ١٥].

● ● ● ● ●

اللّه بكل شيء عليم

- الله بكـل شيء عليم. . لا يخفى عليـه شيء في الأرض ولا في السمـاء. . من الأقوال والأعمال. . والحركات والسكنـات. . والطاعـات والمعاصي. . ﴿ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض إن ذلـك في كتاب إن ذلـك على الله يسير﴾ [الحج/٧٠].
- والله سبحانه قد أحاط بكل شيء علماً. . وكتبه في اللوح المحفوظ كما قال سبحانه ﴿وما تكونوا في شأن وما تتلوا منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلاّ كنـا عليكم شهوداً إذ تفيضـون فيه ومـا يعـزب عن ربـك من مثقـال ذرة في الأرض ولا في السمـاء ولا أصغـر من ذلـك ولا أكبـر إلاّ في كتــاب مبين﴾ [يونس/٦١].
- والله وحده علام الغيوب. . يعلم ما في السمٰوات ومـا في الأرض كما قـال الله سبحانه عن نفسه ﴿إني أعلـم غيب السمٰـوات والأرض وأعلم ما تبـدون وما كنتم تكتمون﴾ [البقرة/٣٣].
- والله سبحانه عليم بكـل شيء. . ومفاتـح الغيب لا يعلمها إلاّ هـو كما قـال سبحـانه ﴿وعنـده مفاتـح الغيب لا يعلمها إلاّ هـو ويعلم ما في البـر والبحر ومـا تسقط من ورقـة إلاّ يعلمهـا ولا حبـة في ظلمـات الأرض ولا رطب ولا يابس إلاّ في كتاب مبين﴾ [الأنعام/٥٩].
- والله وحـده هـو الـذي يعلم قيـام السـاعـة. . ونــزول المـطر. . ومـا في الأرحام. . وعمل الإنسان. . وزمان ومكـان أجله قال تعـالى ﴿إن الله عنده

علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير﴾ [لقمان/٣٤].

- والله سبحانه معنا ولا يخفى عليه شيء من أمرنا.. ﴿وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير﴾ [الحديد/٤].
- والله مطلع علينا.. يعلم أعمالنا خيراً كانت أو شراً.. ثم يخبرنا بها ويجازينا عليها يوم القيامة.. كما قال سبحانه ﴿ألم تر أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة إلّا هو رابعهم ولا خمسة إلّا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلّا هو معهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم﴾ [المجادلة/٧].
- والله سبحانه يعلم وحده الغيب والشهادة.. والسر والجهر كما قال سبحانه عن نفسه ﴿عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال﴾ [الرعد/٩].

وقال سبحانه: ﴿وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى﴾ [طه/٧].

● ● ● ● ●

خطر النفاق

- النفاق مرض خطير.. وجرم كبير.. وهو إظهار الإسلام وإبطان الكفر.. والنفاق أخطر من الكفر.. وعقوبته أشد.. لأنه كفر بلباس الإسلام.. وضرره أعظم ولذلك جعل الله المنافقين في أسفل النار كما قال سبحانه ﴿إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيراً﴾ [النساء/١٤٥].
- والمنافقون دائماً في حيرة وتقلب.. في خداع ومكر.. ظاهرهم مع المؤمنين.. وباطنهم مع الكافرين.. حيناً مع المؤمنين.. وحيناً مع الكافرين.. ﴿مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلاً﴾ [النساء/١٤٣].
- والمنافقون لفساد قلوبهم.. أشد الناس إعراضاً عن دين الله.. كما أخبر الله عنهم بقوله ﴿وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدوداً﴾ [النساء/٦١].
- وتصرفات المنافقين تدور مع مصالحهم.. فإذا لقوا المؤمنين أظهروا الإيمان والموالاة.. غروراً منهم للمؤمنين، ومصانعة، وتقية، وطعماً فيما عندهم من خير ومغنم.. وإذا لقوا سادتهم وكبرائهم قالوا نحن معكم على ما أنتم عليه من الشرك، والكفر.. كما قال سبحانه عنهم ﴿وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزؤن * الله يستهزىء بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون﴾ [البقرة/ ١٤ ـ ١٥].

- وللمنافقين صفات كثيرة.. أشرها وأخطرها الكفر بالله قال تعالى.. ﴿وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون﴾ [البقرة/١٣].

- ومن صفاتهم العداوة والحسد للمؤمنين.. كما قال سبحانه.. ﴿إن تصبك حسنة تسؤهم وإن تصبك مصيبة يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل ويتولوا وهم فرحون﴾ [التوبة/٥٠].

- ومن صفاتهم الاستهزاء بالله، ورسوله، ودينه.. كما قال سبحانه.. ﴿ولئن سألتهم ليقولون إنما كنا نخوض ونلعب * قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم﴾ [التوبة/ ٦٥ ـ ٦٦].

- ومن صفاتهم الفساد في الأرض بالكفر والنفاق والمعاصي.. قال تعالى.. ﴿وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون﴾ [البقرة/ ١١ ـ ١٢].

- ومن صفاتهم البهتان والكذب.. كما أخبر الله عنهم بقوله.. ﴿ويحلفون بالله إنهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون﴾ [المائدة/٦٥].

- ومن صفاتهم الأمر بالمنكر.. والنهي عن المعروف.. والبخل بالمال.. كما أخبر الله عنهم بقوله ﴿المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم إن المنافقين هم الفاسقون﴾ [التوبة/٨٤].

- ومن صفاتهم الطمع والجشع.. ﴿ومنهم من يلمزك في الصدقات فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون﴾ [التوبة/٥٨].

- ومن صفاتهم ما بينه الرسول ﷺ بقوله: «أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خلة منهن كانت فيه خلة من نفاق حتى يدعها إذا

حدَّث كذب. وإذا عاهد غدر، وإذا وعد أخلف، وإذا خاصم فجر»[1].

● ومن صفاتهم الاهتمام بالمظهر.. وفساد المخبر.. وزخرفة القول كما قال الله عنهم.. ﴿وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكنون﴾ [المنافقون/٤].

● وإذا كان الكفار عدواً مبيناً من الخارج.. فإن المنافقين عدواً خفياً من الداخل، وهم أعظم ضرراً.. وأشد خطراً على المسلمين.. لأنهم يخالطونهم ويعلمون أحوالهم..

● وقد قضى الله أن مصير الكافرين والمنافقين إلى جهنم.. ﴿إن الله جامع الكافرين والمنافقين في جهنم جميعاً﴾ [النساء/١٤٠].

● لكن المنافقين لعظيم ضررهم في أسفل النار كما قال سبحانه.. ﴿إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار﴾ [النساء/١٤٥].

● وحيث أن خطر الكفار والمنافقين على الأمة الإسلامية عظيم لذا أمر الله رسوله بجهادهم فقال ﴿يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين وأغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير﴾ [التحريم/٩].

● ● ● ● ●

---

(١) رواه مسلم برقم ٥٨.

عداوة الكفار للمؤمنين دائمة

- عداوة الكفار من أهل الكتاب، والمشركين، والمنافقين للمؤمنين قائمة إلى أن تقوم الساعة.. وصراع الحق مع الباطل باق إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.. كما قال سبحانه.. ﴿ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ [البقرة/٢١٧].

- ولما كان الإسلام يحكم المؤمنين بالعدل.. ويعطي كل ذى حق حقه.. وهم لا يريدون ذلك.. لذلك اجتهدوا في محاربة الدين.. ورد الحق بالباطل.. ولكن هيهات.. فالدين باق.. والله متم نوره.. ولو كره الكافرون.. قال تعالى ﴿يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون * هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾ [الصف/ ٧ ـ ٩].

- إن الكفار يريدون أن تقف أمم الأرض في الكفر صفاً واحداً.. ﴿ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء﴾ [النساء/٨٩].

- والذين كفروا ينفقون أموالهم للصد عن سبيل الله، في كل زمان ومكان.. لنشر الفساد.. وإشعال الحروب.. وقتل المؤمنين.. ويأبى الله إلاَّ أن يخذلهم.. وينصر دينه كما قال سبحانه ﴿إن الذين كفروا ينفقون أموالهم

ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا إلى جهنم يحشرون﴾ [الأنفال/٣٦].

- وقد أخبر الله عن شدة عداوة الكفار للمسلمين بقوله.. ﴿ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾ [البقرة/١٠٥].
- والكفار مهما عملوا فعداوتهم لا تنقطع.. فهم وإن نطقت ألسنتهم بالموادعة.. فإن قلوبهم تأبى إلاَّ الغدر والكيد للإسلام وأهله.. ﴿كيف وإن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلاًّ ولا ذمة يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم وأكثرهم فاسقون﴾ [التوبة/٨].
- والمنافقون كفار بين المسلمين.. البغضاء تبدو من أفواههم.. والحقد يملأ قلوبهم. ولكن الله لهم بالمرصاد كما قال سبحانه ﴿إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً إن الله بما يعملون محيط﴾ [آل عمران/ ١٢٠].
- وأهل الكتاب يكفرون بآيات الله.. ويلبسون الحق بالباطل.. ويكتمون الحق، ويكيدون للإسلام.. ليردوا المسلمين عن دينهم.. كما أخبر الله عنهم بقوله ﴿يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون * يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون * وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون﴾ [آل عمران/٧٢].
- وقد بين الله بالنص الصريح أن طاعة الكفار مهما كانت سببٌ للهلاك والخسارة.. وأن طاعته سبحانه هي سبيل العز والنصر والتمكين كما قال سبحانه ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين بل الله مولاكم وهو خير الناصرين﴾ [آل عمران/١٤٩].

- وجميع الكفار من أهل الكتاب، والمشركين، والمنافقين، كلهم أعداء للمسلمين فلا يجوز الاعتماد عليهم.. أو الركون إليهم كما قال سبحانه.. ﴿ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار ومالكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون﴾ [هود/١١٣].

- وقد حذرنا الله من اتخاذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين.. فإن خاف المسلمون شرهم جاز اتقاء شرهم بالظاهر.. مع بغضهم في الباطن كما قال سبحانه.. ﴿لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلاَّ أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه وإلى الله المصير﴾ [آل عمران/٢٨].

- وحذرنا الله من موالاة اليهود والنصارى.. وبين أن من والاهم كان منهم فقال ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾ [المائدة/٥١].

- وجميع الكافرين من أهل الكتاب، والمشركين، والمنافقين كلهم يوم القيامة في جهنم كما قال سبحانه.. ﴿إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر البرية﴾ [البينة/٦].

- والكفار واليهود هم أحرص الناس على الحياة.. لأنهم يعلمون أنه لاحظ لهم في الآخرة.. فهم يكرهون الموت خوفاً مما بعد الموت كما قال سبحانه عن اليهود والمشركين.. ﴿ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا يود أحدهم لو يعمر ألف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر والله بصير بما يعملون﴾ [البقرة/٩٦].

● ● ● ● ●

الدنيا دار الابتلاء والفتن

- الدنيا دار العمل.. والآخرة دار الجزاء.. والجزاء سيكون بالجنة للمؤمنين.. والنار للكافرين..
- ولما كانت الجنة طيبة.. ولا يدخلها إلَّا من كان طيباً.. والله طيب لا يقبل إلَّا طيباً لذا جرت سنة الله في عباده الابتلاء بالمصائب والفتن، ليعلم المؤمن من الكافر.. ويتميز الصادق من الكاذب.. كما قال سبحانه ﴿أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون * ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين﴾ [العنكبوت/ ٢ ـ ٣].
- ولن يتم الفوز والنجاح إلَّا بعد امتحان يعزل الطيب عن الخبيث.. ويكشف المؤمن من الكافر كما قال سبحانه ﴿ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان الله ليطلعكم على الغيب﴾ [آل عمران/ ١٧٩].
- ومن الابتلاء الذي يبتلى الله به عباده ليتميز به المؤمن من الكافر ما ذكره الله بقوله.. ﴿ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين * الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون * أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون﴾ [البقرة/ ١٥٤ ـ ١٥٦].

فالله يبتلي العباد.. ويحب الصابرين.. ويبشرهم بالجنة..

- ويبتلى الله عباده بالجهاد كما قال سبحانه. . ﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين﴾ [آل عمران/١٤٢].
- والأموال والأولاد فتنة. . يبتلي الله بهما عباده. . ليعلم من يشكره عليها. . ومن يشتغل بها عنه. . ﴿وأعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة وأن الله عنده أجر عظيم﴾ [الأنفال/٢٨].
- ويبتلي الله بالمصائب تارة. . وبالنعم تارة. . ليعلم من يشكر ومن يكفر. . ومن يطيع ومن يعصى. . ثم يجازيهم يوم القيامة. . ﴿ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون﴾ [الأنبياء/٣٥].
- والابتلاء يكون حسب الإيمان. . فأشد الناس بلاءً الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل. . قال عليه الصلاة والسلام «أنى أوعك كما يوعك رجلان منكم»[1].
- والله سبحانه يبتلى عباده بأنواع من الابتلاء.
- فتارة يبتليهم بالمصائب والفتن إمتحاناً لهم ليعلم المؤمن من الكافر. . والمطيع من العاصي. . والشاكر من الجاحد.
- وتارة يبتلى الله عباده بالمصائب. . إذا عصوا ربهم. . فيؤدبهم بالمصائب لعلهم يرجعون كما قال سبحانه ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير﴾ [الشورىٰ/٣٠].

وقال سبحانه ﴿ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون﴾ [المؤمنون/٧٦].

- والله رحيم بعباده. . يكرر الفتن على الأمة لعلها ترجع وتنيب إليه. . وتهجر

---

(١) أخرجه البخاري برقم ٥٦٤٨.

ما حرم الله، ليغفر الله لها كما قال سبحانه.. ﴿أولا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون﴾ [التوبة/١٢٦].

- ومن رحمة الله، أن تكون العقوبة على المعاصي في الدنيا لعل النفوس تزكوا وتعود إلى الله قبل الموت.. ﴿ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون﴾ [السجدة/٢١].

- وتارة يبتلي الله عباده بالمصائب لرفع درجاتهم وتكفير سيئاتهم كما قال عليه الصلاة والسلام «ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب، ولا هم ولا حزن، ولا أذى ولا غم حتى الشوكه يشاكها إلاَّ كفر الله بها من خطاياه»[1].

● ● ● ● ●

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم ٥٦٤١.

الإيمان بالقضاء والقدر

- الإيمان بالقضاء والقدر ركن من أركان الإيمان. . ولا يتم إيمان المسلم حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه. . وما أخطأه لم يكن ليصيبه. . وأن كل شيء بقضاء الله وقدره كما قال سبحانه. . ﴿إنا كل شيء خلقناه بقدر﴾ [القمر/٤٩].
- الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد. . والصبر صفة كريمة. . وعاقبته حميدة. . والصابرون يأخذون أجرهم بغير حساب كما قال سبحانه ﴿إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾ [الزمر/١٠].
- وكل ما يقع من المصائب والفتن في الأرض، أو في النفس، أو في المال، أو في الأهل، أو في غير ذلك. . فالله سبحانه قد علمه قبل وقوعه. . وكتبه في اللوح المحفوظ كما قال سبحانه. . ﴿ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلاَّ في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير﴾ [الحديد/٢٢].
- وما يصيب الإنسان من المصائب فهي خير له، علم ذلك أو لم يعلم لأن الله لا يقضي قضاءً إلاَّ وهو خير كما قال سبحانه ﴿قل لن يصيبنا إلاَّ ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾ [التوبة/٥].
- وكل مصيبة تقع فهي بإذن الله. . ولو شاء ما وقعت. . ولكن الله أذن بها وقدرها فوقعت كما قال سبحانه. . ﴿ما أصاب من مصيبة إلاَّ بإذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شيء عليم﴾ [التغابن/١١].

- وإذا علم العبد أن المصائب كلها إنما تقع بقضاء الله وقدره.. فيجب عليه الإيمان والتسليم والصبر.. والصبر جزاؤه الجنة كما قال سبحانه.. ﴿وجزاهم بما صبروا جنة وحريراً﴾ [الإنسان/١٢].

- والدعوة إلى الله رسالة عظيمة.. يتعرض من يقوم بها لكثير من الأذى والمصائب.. لذا أمر الله رسوله بالصبر كغيره من الأنبياء فقال ﴿فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل﴾ [الأحقاف/٣٥].

- وقد أرشد الله المؤمنين.. إذا حزبهم أمر.. أو وقعت لهم مصيبة أن يستعينوا على ذلك بالصبر، والصلاة، ليكشف الله همهم.. ويُعجل بفرجهم.. ﴿يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين﴾ [البقرة/١٥٣].

- ويجب على المؤمن الصبر على أقدار الله.. والصبر على طاعة الله.. والصبر عن معاص الله.. ومن صبر أعطاه الله الأجر يوم القيامة بغير حساب كما قال سبحانه ﴿إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾ [الزمر/١٠].

- والمؤمن ـ خاصة ـ مأجور في حال السراء والضراء.. قال عليه الصلاة والسلام.. «عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير، وليس ذلك لأحد إلاَّ للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له»[١].

- وقد أرشدنا الله إلى ما نقوله عند المصيبة.. وبين أن للصابرين مقام كريم عند ربهم فقال.. ﴿وبشر الصابرين * الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون * أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون﴾ [البقرة/ ١٥٥ ـ ١٥٧].

● ● ● ● ●

---

(١) رواه مسلم برقم ٢٩٩٩.

الـوحـدة الإسـلامـيـة

- كان الناس أمة واحدة على التوحيد.. ثم اختلفـوا فمنهم من آمن.. ومنهم من كفر.. فبعث الله النبيين مبشرين ومنـذرين.. فمن آمن دخل الجنـة.. ومن كفر دخل النـار.. ولا يزال الصـراع بين الإيمان والكفـر.. بين الحق والباطل.. إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها..
- والإسلام دين الناس جميعاً.. وقد أمـر الله بإبـلاغه للنـاس كافـة.. وذلك لا يتم إلاَّ بقوة.. والقوة تقوم على الإيمان والاتحاد.. لذ أمـر الله المؤمنين جميعاً بالتمسك بدينه، والاتحاد، وعدم التفرق فقال ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾ [آل عمران/١٠٣].
- والفرقة، والاختلاف، والتنازع سبب لهزيمة الأمة، وزوالها كما قال سبحانه ﴿وأطيعوا الله ورسولـه ولا تنازعـوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبـروا إن الله مع الصابرين﴾ [الأنفال/٤٦].
- والوحدة والاجتماع أصل من أصول الدين الإسلامي.. ومظاهر الوحدة في الشـريعة الإسـلامية كثيـرة.. فالـرب واحـد.. والكتـاب واحـد.. والنبـي واحد.. والدين واحد.. والقبلة واحدة.. والأمة واحدة..
- ولتحقيق وحــدة الأمـة.. حث الإســلام على لـزوم الجمــاعــة.. وبين الرسول ﷺ أن يد الله مع الجماعة، ومن شذ شذ في النار.. وقد شرع الله الاجتماع في جميع العبادات الإسلامية لتحقيق هذه الوحدة.. وخاطب الله

الأمة بلفظ الجماعة في جميع الأحكام إشارة إلى أنهم أمة واحدة كالجسد الواحد، لا فرق بينهم.. يؤمرون جميعاً.. وينهون جميعاً..

- ففي مقام العبادة يقول الله ﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً﴾ [النساء/٣٦].
- ويأمرهم جميعاً بالصلاة بقوله ﴿حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين﴾ [البقرة/٢٣٨].
- وفي الزكاة يأمرهم جميعاً بقوله ﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾ [البقرة/٤٣].
- وفي الصوم يقول ﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾ [البقرة/١٨٣].
- وفي الحج يقول ﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً﴾ [آل عمران/٩٧].
- وفي الجهاد يقول ﴿وجاهدوا في الله حق جهاده﴾ [الحج/٧٨].
- والإسلام يجعل الناس جميعاً أمام شرع الله سواء.. الأبيض والأسود.. العربي والأعجمي.. الذكر والأنثى.. الغنى والفقير يجمعهم الإسلام.. يؤمرون جميعاً.. وينهون جميعاً.. فمن أطاع الله ورسوله دخل الجنة.. ومن عصى الله ورسوله دخل النار.. كما قال ﴿من عمل صالحاً فلنفسه من أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد﴾ [فصلت/٤٦].

● ● ● ● ●

أصـول الـسـعـادة

- جـاء الإسـلام بحفظ الضـروريـات الخـمس.. وهي حـفظ الـدين.. والنفس.. والعقـل.. والعرض.. والمـال.. وبحفظ هذه الأصـول تسعـد البشرية.. ويتحقق لها الأمن والرخاء..

- وقـد تحققت هذه الأصـول في عهـد النبـوة فعـاش النـاس بـأمن، وخيـر، ورخاء.. وسعادة وهناء..

- فحفظ الإسلام الدين للأمة.. وأمر بالعمل والحكم بما أنزل الله من أحكام تحقق السعادة للأمة في الدنيـا والآخرة فقـال سبحانـه: ﴿وأن احكم بينهم بما أنزل الله﴾ [المائدة/٤٩].

- والمسلم قـد يتعرض للخـطأ، أو الضعف، أو تغلب عليه الشهـوة، والهوى فيقـع في المعاصي، ومن هنـا أوجب الإسلام النصـح والتـوجيـه على كـل إنسان فقال عليـه الصلاة والسـلام «من رأى منكم منكراً فليغيـره بيده، فـإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»[١].

- وحفظ الإسـلام النفس من القتل أو الـظلم فنهى عن قتل النفس ظلمـاً كما قال سبحانه ﴿ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلَّا بالحق﴾ [الإسراء/٣٣].

- وتوعد الله من قتل نفساً متعمـداً بغير حق بقـوله ﴿ومن يقتـل مؤمناً متعمـداً

---

(١) رواه مسلم برقم ٤٩.

فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً﴾ [النساء/٩٣].

- وشرع الله القصاص حفظاً لحياة الأمة، فمن قتل نفساً متعمداً قُتل بها إلَّا أن يعفوا أولياء المقتول، أو يرضوا بالدية فلهم ذلك ﴿وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له﴾ [المائدة/٤٥]. . ومن قتل خطأ فعليه الكفارة. . والدية إلَّا أن يعفوا. فتسقط الدية. . وتجب الكفارة.

- وحفظ الإسلام العقل. . فحرم كل ما يُغيب العقل، أو يفسده من مخدرات أو خمور قال تعالى ﴿إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فأجتنبوه لعلكم تفلحون﴾ [المائدة/٩٠].

- وبين عليه الصلاة والسلام أن كل مسكر فهو حرام من أي نوع كان فقال «كل مسكر خمر وكل مسكر حرام»[1].

- والإسلام يعاقب شارب الخمر بالجلد أربعين جلدة. . فإن لم ينزجر فللإمام أن يزيد إلى ثمانين. .

- وحفظ الإسلام العرض من كل ما يشينه أو يدنسه. . قال عليه الصلاة والسلام «إن دماءكم، وأموالكم، وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا ألا ليبلغ الشاهد منكم الغائب»[2].

- وشرع الله عقوبة رادعة لكل من يُدنس الأعراض فقال ﴿والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم

---

(١) رواه مسلم برقم ٢٠٠٣.

(٢) أخرجه البخاري برقم ١٠٥.

شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون * إلاَّ الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم﴾ [النور/ ٤ ــ ٥].

- وحرم الله الزنا ودواعيه.. لئلا تختلط الأنساب.. فتضيع الحقوق.. وتكثرالجرائم فقال ﴿الزاني لا ينكح إلاَّ زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلاَّ زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين﴾ [النور/٣].

- وجعل الإسلام عقوبة الزاني المحصن الرجم بالحجارة رجلاً كان أو امرأة ما لم يكن إكراه أو شبهة.. وقد رجم رسول الله ماعز الأسلمي والغامدية لما ثبت أنهما زنيا.

- ومن زنى وهو غير محصن فيجلد مائة جلدة رجلاً كان أو امرأة ما لم يكن إكراه أو شبهة قال تعالى ﴿الزانية والزاني فاجلد كل واحد منهما مائة جلدة﴾ [النور/٢].

- وحفظ الإسلام المال.. فحرم السرقة.. والاختلاس.. والغش.. والربا وكل ما فيه إضاعة للمال.. أو أكله بالباطل..

- فحرم الله أكل الأموال بالباطل بقوله ﴿ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل﴾ [البقرة/١٨٨].

- وحرم الله الربا بقوله ﴿وأحل الله البيع وحرم الربا﴾ [البقرة/٢٧٥].

- وحفظ الله المال لأهله فأوجب قطع يد السارق إذا سرق.. قال تعالى ﴿والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالاً من الله والله عزيز حكيم﴾ [المائدة/٣٨].

● ● ● ● ●

الحكم بما أنزل الله

● الأمة الإسلامية أمة واحدة.. ذات عقيدة واحدة.. وشريعة واحدة، ولما كان لا بد لكل رعية من راع.. ولكل أمة من إمام.. يقودها إلى الخير.. ويدفع عنها الشر، لذا أوجب الإسلام نصب حاكم على الأمة.. يختاره المسلمون.. يحكمهم بكتاب الله، وسنة رسول الله ﷺ..

● وقد بعث الله رسله لإقامة شرع الله.. والحكم بالحق والعدل. كما قال سبحانه ﴿يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب﴾ [ص/٢٦].

● ومهمة الحاكم حكم المسلمين بالكتاب والسنة.. وتطبيق العدل على الأمة كافة.. وإقامة الحدود.. ونشر الإسلام.. وحماية الأمة.. والجهاد في سبيل الله.. قال تعالى.. ﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعما يعظكم به﴾ [النساء/٥٨].

● والعدل أصل عظيم من أصول الإسلام، يتسع للمسلم وغيره.. ﴿ولا يجرمنكم شنئآن قوم على أن لا تعدلوا إعدلوا هو أقرب للتقوى﴾ [المائدة/٨].

● وحاكم المسلمين.. مسؤول عن رعيته.. يحكمهم بشرع الله.. ويتفقد أحوالهم.. ويأخذ بأيديهم إلى ما يسعدهم في الدنيا والآخرة.. قال عليه

الصلاة والسلام «ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، فالأمير الذي على الناس راع ومسؤول عن رعيته. . . إلخ الحديث»[1].

- والله خلق الناس. . وأنزل عليهم الوحي. . وبعث إليهم الرسل ليحكموهم بما أنزل الله. . ومن لم يحكم بما أنزل الله فقد كفر. . كما قال سبحانه ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾ [المائدة/٤٤].

- والحاكم إذا حكم بكتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، وجبت طاعته. . وحرمت مخالفته، أو الخروج عليه قال تعالى. . ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً﴾ [النساء/٥٩].

- وإذا حكم الحاكم بغير ما أنزل الله. . أو أمر بمعصية الله، فلا سمع ولا طاعة. . قال عليه الصلاة والسلام «على المرء المسلم، السمع والطاعة، فيما أحب وكره، إلَّا أن يؤمر بمعصية، فلا سمع ولا طاعة»[2].

- والحاكم أمين على الأمة. . يجب عليه أن يحكمهم بشرع الله. . ويرفق بهم. . وينصح لهم، فإن لم يفعل وجب نصحه. . فإن لم يستجب اختار المسلمون حاكماً غيره. . من الأتقياء الأقوياء.

- وللحاكم المسلم العادل فضل عظيم. . ومقام كريم يوم القيامة. . قال عليه الصلاة والسلام «إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن عز وجل وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا»[3].

---

(١) رواه مسلم برقم ١٨٢٩.

(٢) رواه مسلم برقم ١٨٣٩.

(٣) رواه مسلم برقم ١٨٢٧.

- والحاكم إذا ظلم رعيته.. أو غشها ولم ينصح لها.. حرم الله عليه الجنة قال عليه الصلاة والسلام «ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلاَّ حرم الله عليه الجنة»[1].

وقال عليه الصلاة والسلام «ما من أمير يلي أمر المسلمين ثم لا يجهد لهم وينصح إلاَّ لم يدخل معهم الجنة»[2].

- والإسلام منهج عام لجميع الأمة.. فينبغي بل يجب أن يستوي جميع الأفراد في التلقي منه.. والعمل به.. والدعوة إليه.. والجهاد من أجله..

وقد توعد الله كل من حارب دين الله.. أو وقف لمن يجهر بكلمة الحق في بيوت الله أن يخزيه في الدنيا.. ويعذبه في الآخرة كما قال سبحانه ﴿ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلاَّ خائفين لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم﴾ [البقرة/١١٤].

- وكل من فتن المسلمين في دينهم، أو آذاهم، أو خذلهم فهو في النار إن مات ولم يتب كما قال سبحانه.. ﴿إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق﴾ [البروج/١٠].

- والصدع بكلمة الحق واجب على كل مسلم في كل زمان ومكان.. وقد أمر الله رسوله ببيان الحق.. وتكفل بحفظه من عدوه فقال سبحانه.. ﴿فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين. إنا كفيناك المستهزئين﴾ [الحجر/ ٩٤ ـ ٩٥].

---

(١) رواه مسلم برقم ١٤٢.

(٢) رواه مسلم، ٢٢، كتاب الإمارة.

وأعظم الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر . .

● والحاكم في الولايات العامة أو الخاصة مأجور . . إذا كان عالماً مجتهداً . . فإذا حكم فإن أصاب الحق فله أجران . . أجر الاجتهاد . . وأجر الإصابة . . وإن أخطأ فله أجر واحد أجر الاجتهاد كما قال عليه الصلاة والسلام . . «إذا حكم الحاكم فاجتهد، ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد، ثم أخطأ فله أجر»[1].

● ● ● ● ●

---

(1) أخرجه مسلم برقم ١٧١٦.

الإرث في الإسلام

- أنعم الله على العباد بنعم كثيرة.. ورزقهم من الطيبات.. ليأكلوا، ويشكروا ويتصدقوا، وينفقوا في سبيل الله.. ﴿يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون﴾ [البقرة/١٧٢].

- والإنسان يتصرف بماله في حياته.. وإذا مات انقطع تصرفه بموته.. ولئلا يقع الخلاف بين ورثته.. ومن أجل أن يصل لكل ذي حق حقه.. شرع الله نظاماً عادلاً للإرث من الميت.. يشمل الذكور والإناث.. والصغار والكبار.. قال تعالى.. ﴿للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر نصيباً مفروضاً﴾ [النساء/٧].

- وقد أوجب الإسلام على الرجل دفع المهر لزوجته.. والإنفاق عليها.. ورعاية حقوقها.. والقيام بشأنها.. كما قال سبحانه.. ﴿الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم﴾ [النساء/٣٤].

- وإذا ملكت المرأة مالاً.. فلها حق التصرف فيه.. ونفقة المرأة تجب على أبيها.. فإن تزوجت وجبت نفقتها على زوجها ولو كانت غنية.. ومن أجل ذلك أعطى الإسلام الذكر مثل حظ الأنثيين في كثير من مسائل الميراث لإعفائه المرأة من أي نفقة.. وإلقائها على الرجل وحده.

- وقد فصل الله ميراث الأبناء والبنات.. والآباء والأمهات.. والإخوة

والأخـوات. . والأزواج والزوجـات. . فقال سبحـانه. . ﴿يـوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين فإن كن نساء فـوق اثنتين فلهن ثلثا مـا ترك وإن كانت واحدة فلها النصف، ولأبويه لكل واحد منهما السـدس مما تـرك إن كان له ولد، فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فـلأمه الثلث، فـإن كان لـه إخـوة فلأمـه السدس من بعـد وصية يـوصى بها أو دين، آبـاؤكم وأبنـاؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعـاً فريضـة من الله إن الله كان عليمـاً حكيماً﴾ [النساء/١١].

وقوله سبحانه. . ﴿ولكم نصف ما ترك أزواجكم إن لم يكن لهن ولـد، فإن كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها أو دين، ولهن الربع مما تركتم إن لم يكن لكم ولـد، فإن كـان لكم ولد فلهن الثمن ممـا تركتم من بعد وصية توصون بها أو دين، وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت فلكل واحـد منهما السـدس، فإن كـانوا أكثـر من ذلك فهم شركاء في الثلث من بعد وصية يـوصي بها أو دين غيـر مضار وصيـة من الله والله عليم حليم﴾ [النساء/١٢].

- وبهذا التوزيع العادل. . يـأخذ كـل ذي حق حقه. . من غيـر ظلم ولا جور فما أحلى الإسلام. . وما أعدل مبادئه ونظمه الحكيمة.

● ● ● ● ●

المرأة في الإسلام

- الإسلام دين العدل والمساواة.. أكرم الرجال والنساء.. ورزقهم من الطيبات.. وفضلهم على سائر المخلوقات كما قال سبحانه.. ﴿ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً﴾ [الإسراء/٧٠].
- والمرأة شقيقة الرجل.. وقد اهتم الإسلام بشأن المرأة.. ونقلها من الذل والجهل والفساد.. إلى واحة العز والعلم والعفة..
- وقد بين الله ورسوله حقوق المرأة في الإسلام.. والواجبات التي عليها.. والأداب التي ينبغي أن تتحلى بها.. وجعل الإسلام للمرأة مكانة سامية لم توجد ولن توجد في أي دين آخر سوى الإسلام.
- فالرجل والمرأة في الإنسانية سواء.. كما قال سبحانه ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء﴾ [النساء/١].
- والمرأة كالرجل في العبادات والمعاملات.. من أطاع الله ورسوله دخل الجنة، ومن عصى الله ورسوله دخل النار.. ﴿من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾ [النحل/٩٧].
- والمؤمنون، والمؤمنات في الجنة على حد سواء كما قال سبحانه.. ﴿ومن

يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيراً﴾ [النساء/١٢٤].

- وأعطى الإسلام المرأة الحرية في التملك كالرجل.. ﴿للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن﴾ [النساء/٣٢].
- ورغب الإسلام كلاً من الرجل والمرأة في طلب العلم بقوله ﴿قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الألباب﴾ [الزمر/٩].
- والإسلام يعد كل من يطلب العلم النافع بدخول الجنة.. قال عليه الصلاة والسلام «ومن سلك طريقاً يطلب به علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة»[1].
- وأوجب الإسلام إكرام الوالدين.. والإحسان إليهما.. والعناية بهما وخاصة في حال الكبر كما قال سبحانه.. ﴿وقضى ربك ألَّا تعبدوا إلَّا إياه وبالوالدين إحساناً إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً﴾ [الإسراء/ ٢٣ ــ ٢٤].
- والإسلام يؤكد على العناية بالأم أكثر من الأب.. لضعفها، وحاجتها.. ولعظيم حقها، فإنها هي التي تحمل.. وتلد.. وترضع.. وتربي..

جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: من أحق الناس بحسن صحابتي..؟ قال: أمك، قال: ثم من..؟ قال: أمك، قال: ثم من..؟ قال: أمك، قال: ثم من..؟ قال: أبوك»[2].

---

(١) أخرجه البخاري، ١٠، العلم.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم ٥٩٧١.

● والإسلام أكرم المرأة.. ورفع مكانتها وجعلها سكناً للرجل كما قال سبحانه.. ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة﴾ [الروم/٢١].

● والإسلام يأمر بتربية النساء، وتعليمهن، وتأديبهن، والإحسان إليهن.. ومن قام بذلك فله الجنة.. قال عليه الصلاة والسلام «لا يكون لأحد ثلاث بنات أو ثلاث أخوات، يحسن إليهن إلّا دخل الجنة»(١).

● وحفظ الإسلام عرض المرأة.. وحذر من الإساءة إليها.. وقرر عقوبة رادعة لمن يدنس عرضها فقال سبحانه.. ﴿إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم﴾ [النور/٢٣].

وقال سبحانه.. ﴿والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون. إلّا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم﴾ [النور/٣ ـ ٥].

● وقد أمر الله النساء بالحجاب الذي يحفظ كرامة المرأة.. ويصون عرضها.. ويحميها من الأذى والفساد فقال.. ﴿يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفوراً رحيماً﴾ [الأحزاب/٥٩].

● والحجاب الشرعي للمرأة يكون بستر ما يجلب الفتنة من الوجه والكفين وسائر البدن.. وقد رخص الله للمرأة الكبيرة التي لا رغبة لها في النكاح أن تضع ثيابها غير متبرجة بزينة فقال.. ﴿والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون

---

(١) رواه البخاري برقم ٥٩٩٥.

نكاحاً فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة وأن يستعففن خير لهن والله سميع عليم﴾ [النور/٦٠].

- والإسلام أكرم المرأة، وأعطاها حقها من الميراث.. صغيرة كانت أو كبيرة.. قليلاً كان الميراث أو كثيراً.. قال تعالى.. ﴿للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر نصيباً مفروضاً﴾ [النساء/٧].

- والإسلام صان عرض المرأة، فحرم على غير محرمها الخلوة بها.. والنظر إليها.. قال تعالى.. ﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون * وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلاَّ ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن﴾ [النور/ ٣٠ ـ ٣١].

- وحفظ الإسلام المرأة، فحرم الخلوة بالمرأة الأجنبية.. وحرم سفر المرأة إلاَّ مع ذى محرم، من زوج، أو أب، أو ابن، أو قريب.. قال عليه الصلاة والسلام «لا يخلون رجل بإمرأة إلاَّ ومعها ذو محرم، ولا تسافر المرأة إلاَّ مع ذي محرم»[1].

- وحفظ الإسلام المرأة من كل ما يشينها، ويدنس عرضها، فحرم الزنا ودواعيه على الرجال والنساء، صيانة للفروج.. وحفظاً للأنساب.. وحماية للأعراض قال تعالى.. ﴿الزاني لا ينكح إلاَّ زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلاَّ زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين﴾ [النور/٣].

- وقرر الإسلام عقوبة رادعة لكل زان أو زانية.. برجمهما إن كانا محصنين ما لم تكن شبهة أو إكراه.. أو جلدهما مائة جلدة إن كانا غير محصنين

(١) رواه مسلم برقم ١٣٤١.

ما لم تكن شبهة أو إكراه قال تعالى ﴿الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منها مائة جلدة﴾ [النور/٢].

- ولما كانت الغريزة الجنسية تنمو، وتتكامل، وتتحرك في ريعان الشباب.. وخوفاً من الوقوع في الزنا، لذا أمر الرسول ﷺ الشباب بالمبادرة إلى الزواج فقال عليه الصلاة والسلام.. «يا معشر الشباب من استطاع الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء»(١).
- وقد أباح الإسلام للرجل أن يتزوج بأربع نساء، بشرط العدل بينهن.. فإن خاف ألا يعدل فواحدة أو ما ملكت يمينه.. قال تعالى ﴿فانكحوا ما طاب لكم من النساء، مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت إيمانكم ذلك أدنىٰ ألا تعولوا﴾ [النساء/٣].
- وأباح الإسلام التعدد.. رغبة في إكثار نسل المسلمين.. ولأن المرأة الواحدة قد تكون ضعيفة، أو مريضة، أو لا تحمل، وزواجه عليها خير من طلاقها.. وقد تكثر النساء، وخاصة بعد الحروب وزواجها مع غيرها خير من الوحدة، فلهذه الأسباب وغيرها أباح الإسلام التعدد فسبحان الحكيم العليم..
- والإسلام دين العدل والمساواة.. يعطي المرأة الحرية في اختيار زوجها.. فلا تكره على من لا ترغبه من الرجال.. قال عليه الصلاة والسلام «لا تنكح الآيم حتى تستأمر، ولا تنكح البكر حتى تستأذن»(٢).
- والإسلام يوجب المهر على الزوج، مقابل الاستمتاع بزوجته.. والمهر حق

---

(١) أخرجه البخاري برقم ٥٠٦٦.

(٢) رواه البخاري برقم ٥١٣٦.

لها، ولها أن تهب منه لمن تشاء.. قال تعالى.. ﴿وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئاً﴾ [النساء/٤].

- والإسلام يعتبر المرأة الصالحة ذات الدين والخلق من أهم أسباب السعادة الزوجية كما قال عليه الصلاة والسلام.. «الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة»[1].

- والإسلام دين الرفق والرحمة يوصي الزوج أن يعاشر زوجته بالمعروف.. ويصبر على ما يكرهه منها قال تعالى: ﴿وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً﴾ [النساء/١٩].

- والإسلام يساوي بين الأبناء والبنات.. ويجعل تفضيل بعضهم على بعض ظلماً، قال عليه الصلاة والسلام «إتقوا الله وأعدلوا بين أولادكم»[2].

- وإذا حصل خلاف بين الزوجين ولم يصطلحا.. فالإسلام يأمر أهل الزوجين بالتدخل لرأب الصدع.. وإزالة الخلاف كما قال سبحانه.. ﴿وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها إن يريدا إصلاحاً يوفق الله بينهما إن الله كان عليماً خبيراً﴾ [النساء/٣٥].

- فإذا لم يستطع الحكمان الإصلاح.. وكره الزوجان بعضهما.. فحينئذ يشرع للزوج أن يطلق زوجته طلقة في طهر لم يجامعها فيه كما قال سبحانه ﴿يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وأحصوا العدة﴾ [الطلاق/١].

- وإذا وقع الطلاق، فالإسلام يأمر الزوج أن يهدي زوجته متاعاً، حسب حاله

---

(١) رواه مسلم برقم ١٤٦٧.

(٢) رواه مسلم برقم ١٦٢٣.

ترضية لها.. وجبراً لخاطرها.. قال تعالى ﴿وللمطلقات متاع بالمعروف حقاً على المتقين﴾ [البقرة/٢٤١].

● وإذا تأذت المرأة من زوجها، وكرهت معاشرته جاز لها أن تفتدي منه وتفارقه كما قال سبحانه.. ﴿فإن خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما إفتدت به﴾ [البقرة/٢٢٩].

● والإسلام دين النظافة والطهر، يأمر الزوج أن لا يجامع زوجته وهي حائض فإذا طهرت، واغتسلت فليجامعها إن شاء.. قال تعالى.. ﴿ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فإذا تطهرن فآتوهن من حيث أمركم الله إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾ [البقرة/٢٢٢].

● والإسلام نظم العلاقة بين الزوجين، وجعل للمرأة حقوقاً كالرجل.. وكلف الرجل لقوته، وقدرته برئاسة الأسرة، بلا ظلم ولا تعسف قال تعالى ﴿ولهن مثل الذي عليهن وللرجال عليهن درجة﴾ [البقرة/٢٢٨].

● والمرأة كالرجل في الحقوق والواجبات.. وهناك بعض الفوارق بين الرجل والمرأة، ليس في الإنسانية والكرامة.. بل لأسباب ومجالات محدودة خاصة:

١ ــ **ففي الميراث**.. يختلف الحكم باختلاف الحالات.. فتارة يكون نصيب المرأة كالرجل كالأخوة لأم.. وتارة يكون نصيبها مثله، أو أقل منه كما في الأم مع الأب إذا كان للميت أولاد في الأولى.. أو لم يكن في الثانية.. وتارة تأخذ نصف ما يأخذه الذكر وهذا هو الغالب..

● والسبب في أن الإسلام يعطي الرجل مثل حظ الأنثيين.. لأن الرجل مكلف في الإسلام بالنفقة على نفسه، وزوجته، وأولاده.. والمرأة لا تجب

عليها نفقة.. بل نفقتها على أبيها.. فإن تزوجت فنفقتها على زوجها..
فالرجل ماله ينقص بالنفقة.. والمرأة مالها إن لم يزيد فلن ينقص.. لأنه
ليس عليها نفقة واجبة، وقد أكرمها الإسلام حين طرح عنها الأعباء
والتكاليف وألقاها على الرجل.. وجعلها ملكة في بيت زوجها..

٢ ـ وفي الشهادة: جعل الإسلام شهادة المرأتين، تعدل شهادة
رجل واحد، والسبب أن الإسلام يجعل المرأة قارة في بيت زوجها،
تحمل، وتلد وترضع، وتربي أولادها.. وإذا غشت السوق فهي عابرة
لحاجتها.. فلا تعبأ بالخصومات التي تحدث، مما يجعلها قد تنسى،
أو تخاف.. فأمر الله لو طُلبت منها الشهادة، أن تذكرها أختها.. فقال
تعالى.. ﴿واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجل
وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل أحداهما فتذكر أحداهما
الأخرى﴾ [البقرة/٢٨٢].

- وهذا الحكم في المسائل العامة.. أما المسائل التي تخص النساء وحدهن
كالحمل، والولادة، والحيض ونحو ذلك مما يتعلق بشؤون النساء فيكفى
شهادة إمرأة واحدة كالرجال.

٣ ـ وفي الدية: جعل الإسلام دية المرأة على النصف من دية
الرجل.. والسبب أن ضرر الأسرة بفقد الرجل، أكثر من ضررها بفقد
المرأة.. ففي قتل العمد يُقتل القاتل رجلاً كان أو امرأة، لأنها نفس
بنفس.. أما في قتل الخطأ ففيه الدية.. والأسرة التي فقدت أباها الذي
ينفق عليها، أشد خسارة وأحوج من الأسرة التي فقدت أمها.. ولا علاقة
لهذا التفريق بكرامة المرأة.. وإنما لقيام المصلحة بذلك.

- كما أن الإسلام لم يكلف المرأة بالإنفاق على نفسها، وأولادها، فلا حاجة
لأن تكون ديتها كالرجل المكلف بالإنفاق.. والله أعلم.

٤ ـ **وفي رئاسة الدولة**: جعل الإسلام رئاسة الدولة بيد الرجل لا بيد المرأة.. لأن الحاكم هو الذي يؤم المسلمين.. ويخطب في الجمع والأعياد، والمناسبات.. ويباشر القضاء، والحدود، والجنايات.. ويعلن الحرب.. ويقود الجيش وذلك كله من شأن الرجال لا من شأن النساء.

- أما في الولايات الخاصة التي لا خلوة فيها، ولا محذور، فالإسلام يبيح ذلك في حدود الآداب الشرعية المقررة كما قال سبحانه.. ﴿فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض﴾ [آل عمران/١٩٥].
- وقيام الرجال على النساء إنما هو إكرام لهن.. ورفع لمكانتهن.. وخدمة لهن كما قال سبحانه ﴿الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم﴾ [النساء/٣٤].
- وكان النبي عليه الصلاة والسلام خير الناس لأهله يرفق بأهله.. ويقضي حوائجهم.. ويسابقهم.. ويمازحهم ولا يقول إلاَّ حقّاً فصلوات الله وسلامه عليه.

● ● ● ● ●

مبـادىء إسلاميـة عامـة

- الإسلام دين كامل. . وقد بين الله ورسوله ﷺ كل ما يسعد الأمة في الدنيا والآخرة. . وفي القرآن والسنة كثير من المبادىء الإسلامية النافعة، وكلها فيما يتعلق بمصلحة الإنسان ويحقق له السعادة في الدنيا والأخرة ومنها. .
- في العدل. . قول الله تعالى ﴿لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله قوي عزيز﴾ [الحديد/ ٢٥].
- وفي اتباع منهج الله. . ﴿وأنَّ هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون﴾ [الأنعام/ ١٥٣].
- وفي صفات المؤمنين. . والمسارعة إلى ما يدخل الجنة، من الأعمال الصالحة قوله سبحانه ﴿وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السمٰوات والأرض أعدت للمتقين * الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين * والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلَّا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون * أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين﴾ [آل عمران/ ١٣٣ ـ ١٣٦].
- وفي مضاعفة الحسنات قوله سبحانه ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها

ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلاَّ مثلها وهم لا يظلمون﴾ [الأنعام/ ١٦٠].

- وفي المحاسبة على العمل قوله سبحانه: ﴿وأن ليس للإنسان إلاَّ ما سعى * وأن سعيه سوف يرى * ثم يجزاه الجزاء الأوفى﴾[النجم/ ٣٩ ـ ٤٠].
- وفي العفو والصفح قوله سبحانه ﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين﴾ [الشورى/ ٤٠].
- وفي نهي الأمة عن الصفات والأخلاق السيئة قوله سبحانه.. ﴿يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون﴾ [الحجرات/ ١١].
- وفي الإيمان بالقدر والرضا بما قضاه الله وقدره.. قوله سبحانه ﴿ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلاَّ في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير * لكي لا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور﴾ [الحديد/٢٣].
- وفي الاستئذان قوله سبحانه ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون * فإن لم تجدوا فيها أحداً فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم والله بما تعملون عليم﴾ [النور/ ٢٧ ـ ٢٨].
- وتحية الإسلام.. هي السلام عليكم رحمة الله وبركاته.. وقد أمر الله بها بقوله ﴿وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها إن الله كان على كل شيء حسيباً﴾ [النساء/٨٦].
- وفي حلم الله على العباد قوله سبحانه.. ﴿ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم

ما ترك عليها من دابة ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾ [النحل/٦١].

- وقد حرم الإسلام كل ما يضرّ الفرد والأسرة والمجتمع، ومنها ما ورد في قوله سبحانه.. ﴿قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلاَّ بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون﴾ [الأنعام/١٥١].

- وفي حفظ مال اليتيم.. وإيفاء الكيل.. والعدل والوفاء قوله سبحانه ﴿ولا تقربوا مال اليتيم إلاَّ بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده * وأوفوا المكيال والميزان بالقسط لا نكلف نفساً إلاَّ وسعها وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون﴾ [الأنعام/١٥٢].

- وفي الاهتمام باللباس.. وعدم الإسراف قوله سبحانه.. ﴿يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين﴾ [الأعراف/٣١].

- وفي التحذير من الربا وخطره على الأمة قوله سبحانه.. ﴿يا أيها الذين آمنوا إتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين * فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون﴾ [البقرة/ ٢٧٨ ـ ٢٧٩].

- وفي الطهارة والنظافة قوله سبحانه.. ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فأغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤسكم وأرجلكم إلى الكعبين وإن كنتم جنباً فاطهروا﴾ [المائدة/٦].

● ● ● ● ●

الإنفاق في سبيل الله

- خلق الله الخلق، وتكفل برزقهم جميعاً كما قال سبحانه ﴿وما من دابة في الأرض إلَّا على الله رزقها﴾ [هود/٦].
- وقد قسم الله الأرزاق بين الناس بالعدل.. مادية كانت أو معنوية.. ظاهرة كانت أو باطنة.. وفاوت بين خلقه فيما أعطاهم من الأموال، والأرزاق والعقول، والفهوم، والعلوم وغيرها ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً، فيحتاج هذا لهذا.. وهذا إلى هذا.. ﴿نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً ورحمة ربك خير مما يجمعون﴾ [الزخرف/٣٢].
- والمال نعمة من الله على عباده.. يعطيه من يشاء.. فمن طلبه بالحلال.. وأنفقه فيما يرضي الله.. رضي الله عنه، وبارك في ماله.. ومن طلبه بالحرام، وأنفقه فيما حرم الله.. سخط الله عليه، ولم يبارك في ماله..
- والإسلام دين المحبة، والأخوة، والتعاون.. قال تعالى ﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾ [المائدة/٢].
- وقد أمرنا الله بالإنفاق، والصدقة على الضعفاء، والفقراء، والمحتاجين، وفي سبيل الله فقال.. ﴿يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه إلَّا أن تغمضوا فيه واعلموا أن الله غني حميد﴾ [البقرة/٢٦٧].

● وأبواب الخير والإنفاق كثيرة ومنها ما ذكر الله بقوله ﴿يسألـونك مـاذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقـربين واليتامى والمسـاكين وابن السبيل وما تفعلوا من خير فإن الله به عليم﴾ [البقرة/٢١٥].

● وأفضل أبواب الإنفاق، ما كـان في سبيل الله كـالنفقة على المجـاهدين في سبيـل الله، وتعليـم الإسـلام.. والـدعـوة إلى الله.. وعـلى الفـقـراء والمساكين..

● وتضـاعف الحسنات، والصـدقات، والنفقـات في سبيل الله إلى سبعمـائـة ضعف إلى أضعـاف كثيـرة.. ويختلف ذلـك بـاختـلاف النيـات والأحـوال والأشخـاص.. قال تعـالى.. ﴿مثل الـذين ينفقون أمـوالهم في سبيـل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم﴾ [البقرة/٢٦١].

● ويجب أن تكون النفقات، والصدقات خالصة لـوجه الله.. ولا يلحقهـا منٌّ ولا أذى وإلاَّ بـطلت كما قـال سبحانـه.. ﴿يا أيهـا الـذين آمنـوا لا تبـطلوا صدقاتكم بالمن والأذى﴾ [البقرة/٢٦٤].

● والإنفـاق المحمود. تـارة يكون سـراً.. وتـارة يكـون عـلانيـة.. يختلف باختلاف الأحوال، والأوقات، والأشخاص.. كما قال سبحانـه.. ﴿الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ [البقرة/٢٧٤].

● ونفقة المسلم ينبغي أن تكون من طيب ماله لينال عليها الأجر والثواب، فإن الله طيب لا يقبـل إلاَّ طيباً.. قـال تعـالى.. ﴿لن تنـالـوا البـر حتى تنفقـوا مما تحبون وما تنفقوا من شيء فإن الله به عليم﴾ [آل عمران/٩٢].

● وكل نفقة ينفقها المسلم إبتغاء وجه ربه.. فـإن الله يخلفها عليـه في الدنيـا

بالبدل.. وفي الآخرة بالجزاء، والثواب الحسن كما قال سبحانه.. ﴿وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين﴾ [سبأ/ ٣٩].

● ونفقات المسلم يجب أن تكون في حدود الاعتدال، بلا إسراف ولا تقتير كما قال سبحانه في وصف عباد الله المؤمنين ﴿والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً﴾ [الفرقان/ ٦٧].

● وقد وعد الله المنفقين في سبيل الله بلا منٍّ ولا أذى بالأجر العظيم في الدنيا والآخرة فقال.. ﴿الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا مناً ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ [البقرة/ ٢٦٢].

● وكنز الذهب والفضة.. وعدم إنفاقهما في سبيل الله ذنب عظيم يوجب العقوبة يوم القيامة بنار جهنم كما قال سبحانه.. ﴿والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم، يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون﴾ [التوبة/ ٣٤ ـ ٣٥].

● ● ● ● ●

الجهاد في سبيل الله

- الإسلام رسالة عامة لجميع الناس كما قال تعالى.. ﴿وما أرسلناك إلاَّ كافة للناس بشيراً ونذيراً ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ [سبأ/٢٨].
- وقد أمر الله رسوله ﷺ بإبلاغ هذا الدين إلى الناس كافة كما قال سبحانه.. ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس﴾ [المائدة/٦٧].
- ولما كان الإسلام رسالة عامة لأهل الأرض.. وأغلب الأرض تُحكَم بغير الإسلام.. وينتشر فيها الظلم والفساد.. وتنتهك فيها الحرمات.. وتستباح فيها الأعراض.. وتدين بالكفر والشرك والإلحاد.. وحتى لا تحصل الفتن.. وليكون الدين كله لله.. لذا أمر الله بالجهاد في سبيل الله.. ليحل الإيمان محل الكفر.. والحق مكان الباطل.. والعدل مكان الظلم فقال سبحانه.. ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فإن انتهوا فلا عدوان إلاَّ على الظالمين﴾ [البقرة/١٩٣].
- ولما كان زعماء الكفر، والشرك، والإلحاد لا يريدون الإسلام.. بل يحاربونه بكل وسيلة.. لأنه يأمرهم بالعدل والمساواة.. وهم لا يريدون ذلك.. بل يريدون استعباد الناس وظلمهم.. لذا أوجب الإسلام، قتال كل من استكبر عن الحق، ووقف له لئلا ينتشر.. أو أعلن الحرب علينا.. وذلك حتى تفتح الأبواب لهذا الدين ليبلغ الناس كافة كما قال سبحانه..

﴿وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين﴾ [البقرة/ ١٩٠].

- وإذا حُكمت أرض الكفر بالإسلام.. ورُفِع الظلم عن المظلومين.. وبلغهم الإسلام فهم بالخيار.. من أسلم فله مالنا وعليه ما علينا.. ومن أبىٰ.. تُرك على دينه، ودفع الجزية مقابل حمايته والمحافظة عليه.. كما قال سبحانه.. ﴿وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾ [الكهف/ ٢٩].

- وقد توعد الله بالعذاب الأليم.. كل من كفر بالله.. وصد عن ذكر الله.. وقتل، أو وقف لأولياء الله وآذاهم.. فقال سبحانه ﴿إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب أليم﴾ [آل عمران/ ٢١].

- والإسلام دين يقوم على عبادة الله وحده، والكفر بما سواه.. والكفر بضد ذلك، فلا التقاء معه.. كما قال سبحانه.. ﴿قل يا أيها الكافرون * لا أعبد ما تعبدون * ولا أنتم عابدون ما أعبد﴾ [الكافرون/ ١ ــ ٣].

- والإيمان والكفر.. والحق والباطل في صراع إلى أن تقوم الساعة.. وإذا اجتمع أهل الكفر لقتال المسلمين.. فيجب أن يجتمع أهل الإسلام لقتالهم.. كما قال سبحانه ﴿وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين﴾ [التوبة/ ٣٦].

- والجهاد ماض إلى يوم القيامة.. والدين باق إلى أن تقوم الساعة.. كما قال سبحانه.. ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ [الحجر/ ٩].

وقال عليه الصلاة والسلام.. «لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله

لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس»[1].

- وبالجهاد والدعوة سيبلغ هذا الدين مشارق الأرض ومغاربها إن شاء الله تعالى قال عليه الصلاة والسلام.. «إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها»[2].

- ودين الإسلام سيظهر على كل دين كما قال سبحانه.. ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾ [الصف/ ٩].

- والجهاد في الإسلام فرض كفاية، إذا قام به من يكفي سقط عن الباقين.. ويتعين على المستطيع من سائر الأمة إذا دعا إليه الإمام.. أو هاجم العدو بلاد المسلمين فيخرج الناس، خفافاً وثقالاً كما قال سبحانه.. ﴿انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون﴾ [التوبة/ ٤١].

- والجهاد في سبيل الله، من أفضل الأعمال بعد الإيمان بالله.. وقد سئل رسول الله ﷺ أي الأعمال أفضل؟ «قال: إيمان بالله ورسوله، قيل ثم ماذا؟ قال: الجهاد في سبيل الله، قيل ثم ماذا؟ قال حج مبرور»[3].

- والجهاد يكون في سبيل الله، إذا كان لإعلاء كلمة الله ونصر دينه.. جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: الرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل ليذكر والرجل يقاتل ليرى مكانه فمن في سبيل الله؟ فقال رسول الله ﷺ «من قاتل

---

(١) رواه مسلم برقم ١٠٣٧.

(٢) رواه مسلم برقم ٢٨٨٩.

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم ٢٦.

لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله»[1].

● وللمجاهدين في سبيل الله ثواب عظيم ذكره الله بقوله ﴿يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم * تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون * يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم * وأخرى تحبونها نصر الله وفتح قريب وبشر المؤمنين﴾ [الصف/ ١٠ ـ ١٣].

● والمجاهدون في سبيل الله لهم إحدى الحسنيين.. النصر أو الشهادة.. أما الكفار فلهم العذاب في الدنيا والآخرة كما قال سبحانه ﴿قل هل تربصون بنا إلَّا إحدى الحسنيين ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا فتربصوا إنا معكم متربصون﴾ [التوبة/٥٢].

● وقد أمر الله المسلمين بإعداد القوة اللازمة التي تُرهب الأعداء كما قال سبحانه.. ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم﴾ [الأنفال/ ٦٠].

● والجهاد في سبيل الله، أصل من أصول الدين الإسلامي، شرعه الله لإعلاء كلمته.. ونشر دينه.. وردِّ كيد المعتدين..

● وإذا وقف المجاهدون في سبيل الله أمام أعدائهم من أهل الكتاب عرضوا عليهم الإسلام.. فإن أبوا عرضوا عليهم دفع الجزية.. فإن أبوا قاتلوهم..

● وإذا التقى المسلمون بالكفار.. وأبى الكفار إلَّا القتال.. فيجب على المسلمين الثبات، والوقوف لهم، وقتالهم.. نصرة لدين الله.. وإعلاء

---

(١) متفق عليه، أخرجه مسلم برقم ١٩٠٤.

لكلمة الله * وإذا ثبت، المسلمون وصبروا نصرهم الله.. وأحبط كيد أعدائهم.. وقد أرشدنا الله إلى الأخذ بأسباب النصر بقوله سبحانه.. ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون * وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين * ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطراً ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما تعملون محيط﴾ [الأنفال/ ٤٥ ــ ٤٧].

- والمجاهد في سبيل الله، له أجر عظيم، سواء قُتل أو لم يقتل كما قال سبحانه.. ﴿ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجراً عظيماً﴾ [النساء/٧٤].

- ومن قُتل في سبيل الله فهو شهيد توهب له الحياة، ويرزق عند ربه كما قال سبحانه.. ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون﴾ [آل عمران/١٦٩].

- وقد جاهد النبي ﷺ في سبيل الله.. ومعه الصحابة رضي الله عنهم، الذين جاهدوا في سبيل الله، بأموالهم وأنفسهم.. فآمنوا بالله ورسوله.. وجاهدوا في سبيل الله، حتى انتشر الإسلام.. وارتفعت راية لا إله إلَّا الله فرضي الله عنهم أجمعين، وجعلنا وإياهم من سكان جنات النعيم..

- وإذا كان المسلمون أعزة.. ورغب الكفار في الصلح.. ولم يقاتلونا في ديننا.. وأمكنونا من نشر ديننا وإبلاغه للناس.. فلا بأس من مسالمتهم وبرهم كما قال سبحانه.. ﴿وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم﴾ [الأنفال/٦١].

وقال سبحانه.. ﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين﴾ [الممتحنة/٨].

نصر المؤمنين سنة جارية

● نصر الأنبياء، والرسل، والمؤمنين في كل زمان، وفي كل مكان، سنة جارية كما قال سبحانه . . ﴿إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد﴾ [غافر/٥١].

● وأكد الله سبحانه نصره لجميع المؤمنين بقوله . . ﴿وكان حقاً علينا نصر المؤمنين﴾ [الروم/٤٧].

● والنصر من عند الله . . وهو أمر قد فرغ منه . . ولن يكون إلاَّ للمؤمنين بالله كما قال سبحانه . . ﴿ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين * إنهم لهم المنصورون * وإن جندنا لهم الغالبون﴾ [الصافات/ ١٧١ ـ ١٧٣].

● ونصر المؤمنين في كل ميدان سنة جارية . . وإذا تخلف الإيمان . . تأخر النصر . . وما أمر الله به من إعداد القوة، والعدد، والسلاح . . فذلك من فعل الأسباب التي أمر الله بها . . ليفرح المؤمنون بها . . وتطمئن قلوبهم . . كما قال سبحانه للمؤمنين حين أمدهم بالملائكة في معركة بدر . . ﴿إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين * وما جعله الله إلاَّ بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر إلاَّ من عند الله إن الله عزيز حكيم﴾ [الأنفال/ ٩ ـ ١٠].

● والله سبحانه قادر على الانتقام من الكفار بعقوبة من عنده . . ولكنه سبحانه شرع الجهاد ليختبر عباده . . ليعلم المؤمن من الكافر . . والصادق من

الكاذب كما قال سبحانه. . ﴿ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض﴾ [محمد/ ٥].

- ومن كان الله معه فلن يهزمه أحد. . ومن كفر بالله خذله الله كما قال سبحانه. . ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم * والذين كفروا فتعساً لهم وأضل أعمالهم﴾ [محمد/ ٧ ـ ٨].

- والمسلمون إذا نصروا دين الله. . بطاعة الله ورسوله. . وفعل المأمورات واجتناب المنهيات. . حينئذ يتنزل عليهم النصر كما قال سبحانه. . ﴿ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز * الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور﴾ [الحج/ ٤٠ ـ ٤١].

- وقد نصر الله كلَّ من آمن به، ونصر دينه من الأنبياء وأتباعهم. . فقد نصر الله نبيه هوداً على قومه عاد. . وصالحاً على ثمود. . وإبراهيم على نمرود. . وموسى على فرعون. . وعيسى على من أراد قتله. . ومحمداً على من كفر به من قريش وأهل الكتاب. . ونصر الله صحابة الرسول ﷺ على الفرس والروم. . سنة الله جارية في كل زمان. . وفي كل مكان ﴿إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد﴾ [غافر/ ٥١].

- وأهل الكفر والباطل مهما كانت قوتهم. . ومهما طغوا وتجبروا. . فإن الله أقوى منهم. . وسيخذلهم بجنوده وعباده المؤمنين. . ﴿كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز﴾ [المجادلة/ ٢١].

- والمؤمنون أقوياء بالله. . يؤمنون بربهم، ويتوكلون عليه، فينصرهم ولو كانوا أقل من أعدائهم في الرجال والسلاح. . كما قال سبحانه. . ﴿كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين﴾ [البقرة/ ٢٤٩].

- وإذا تقابل أهل الإيمان.. مع أهل الفكر. فالهزيمة بلا ريب ستكون على الكفر وأهله.. وتلك سنة جارية لا تتبدل إذا جاء الحق زهق الباطل.. وإذا أقبل الإيمان اندحر الكفر ولن يفلح الكفار لا في الدنيا ولا في الآخرة كما قال سبحانه.. ﴿قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد﴾ [آل عمران/١٢].

- ولن يقف الكفر أمام الإيمان.. ولن يثبت الباطل أمام الحق.. لأن المؤمنين أقوياء بإيمانهم بالله، والله معهم.. يحفظهم.. ويدافع عنهم.. ويخذل عدوهم كما قال سبحانه: ﴿إن الله يدافع عن الذين آمنوا إن الله لا يحب كل خوان كفور﴾ [الحج/٣٨].

وقوله سبحانه: ﴿ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الأدبار ثم لا يجدون ولياً ولا نصيراً﴾ [الفتح/٢٢].

- وحسب الأعداء أن يؤذوا المؤمنين.. أما النصر والغلبة والعزة فهي لله ولرسوله وللمؤمنين كما قال سبحانه.. ﴿لن يضروكم إلاَّ أذى وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار ثم لا ينصرون﴾ [آل عمران/١١١].

- وقد وعد الله، وبشر عباده المؤمنين بالتمكين في الأرض، واستخلافهم فيها، إذا قاموا بنصر دين الله كما قال سبحانه.. ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون﴾ [النور/٥٥].

- اللهم أنصر دينك، وكتابك، وسنة نبيك، وعبادك المؤمنين.. برحمتك يا أرحم الراحمين.

● ● ● ● ●

عقوبة الكفار والعصاة

● خلق الله الخلق.. وأسكنهم في أرضه.. وأطعمهم من رزقه.. وأنزل عليهم الوحي.. وبعث إليهم الرسل.. فمن آمن بالله، أسعده الله في الدنيا.. وأدخله الجنة في الآخرة.. ومن كفر بالله، شقي في الدنيا.. وأدخله الله النار في الآخرة.. كما قال سبحانه.. ﴿فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون * والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ [البقرة/ ٣٨ ـ ٣٩].

● وأعظم الذنوب هو الشرك بالله.. كما قال سبحانه ﴿وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم﴾ [لقمان/١٣].

● والله سبحانه يعاقب كل من يكفر به، أو يعصيه، في الدنيا والآخرة. أما في الدنيا فيعاقبهم الله.. بالمصائب.. والهزائم.. والقتل.. والشقاء.. والخوف والجوع.. ونقص الأموال، والأنفس، والثمرات كما قال سبحانه ﴿وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون﴾ [النحل/١١٢].

● وأما عقوبة الله للكفار والعصاة في الآخرة فهي نار جهنم كما قال سبحانه ﴿إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم ناراً كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب إن الله كان عزيزاً حكيماً﴾ [النساء/٥٦].

● وإذا أعرض الإنسان عن ربه.. تولاه الشيطان وأشقاه.. فقاده في الدنيا

إلى الفساد والفواحش والآثام.. وفي الآخرة يحشر معه في جهنم كما قال سبحانه ﴿ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين * وإنهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون * حتى إذا جاءنا قال يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين * ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنكم في العذاب مشتركون﴾ [الزخرف/ ٣٦ ـ ٣٩].

● وإذا أعرضت الأمة عن هدى ربها، وكفرت بالله ورسله أدبها الله بعقوبة صارمة لكفرها وعتوها كما قال سبحانه.. ﴿وكأين من قرية عتت عن أمر ربها ورسله فحاسبناها حساباً شديداً وعذبناها عذاباً نكراً فذاقت وبال أمرها وكان عاقبة أمرها خسراً﴾ [الطلاق/ ٨ ـ ٩].

● والكفار ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله.. ولكن الله يجعلها حسرة عليهم.. وسبباً لخسارتهم وهزيمتهم.. كما قال سبحانه.. ﴿إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا إلى جهنم يحشرون﴾ [الأنفال/٣٦].

● والعقوبات الإلهية تتوالى على الكفار في كل زمان، وفي كل مكان حتى تقوم الساعة كما قال سبحانه.. ﴿ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة أو تحل قريباً من دارهم حتى يأتي وعد الله إن الله لا يخلف الميعاد﴾ [الرعد/٣١].

● وكل ما يَنعم به الكفار في الدنيا من الأموال، والأولاد إنما هو استدراج لهم شقاء في الدنيا بالأموال والأولاد، وعذاب في الآخرة كما قال سبحانه ﴿فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون﴾ [التوبة/٥٥].

● وينبغي أن لا يغتر المسلم بظاهر ما عليه الكفار من الشرف والنعمة والسرور فذلك استدراج.. وعما قليل يزول هذا كله عنهم.. ثم ينتقلون بعده إلى

نار جهنم كما قال سبحانه.. ﴿لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد * متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد﴾ [آل عمران/ ١٩٦ ـ ١٩٧].

● وكل ما يعمله الكفار من الأعمال التي ظاهرها الخير، فإن الله لا يقبلها لأنهم لم يريدوا بها وجه الله، ولم يؤمنوا بالله ورسوله.. ﴿وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلَّا أنهم كفروا بالله وبرسوله﴾ [التوبة/٥٤].

● والله قوي عزيز.. حرم الظلم.. وإذا ظلم الناس نزلت بهم عقوبة مهلكة كما قال سبحانه.. ﴿وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد﴾ [هود/١٠٢].

● وإذا كفر الناس.. ولم يستجيبوا لله ورسوله.. أعطاهم الله من الدنيا ما يحبون، فإذا اطمأنوا وفرحوا عاقبهم الله بذنوبهم كما قال سبحانه: ﴿فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين﴾ [الأنعام/ ٤٤ ـ ٤٥].

● وإذا نزلت عقوبة الله على أمة كافرة لم تترك أحداً منهم إلَّا أهلكته.. كما فعل الله بالأمم التي كفرت، وكذبت الأنبياء والرسل.. فقد أهلك الله قوم نوح وقوم فرعون بالغرق.. وأهلك قوم هود بالريح.. وقوم صالح بالصيحة.. وقارون بالخسف.. كما قال سبحانه.. ﴿فكلًا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصباً ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ [العنكبوت/٤٠].

● وإذا مات الكافر فلا يجوز للمسلم أن يترحم عليه أو يستغفر له، أو يصلي عليه ولو كان قريباً لأن من مات كافراً فهو في النار.. قال تعالى.. ﴿ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم﴾ [التوبة/١١٣].

المـوت

- الله وحده هو الحي الذي لا يموت. . وسائر المخلوقات ستنتهي إلى الفناء كما قال سبحانه. . ﴿كل من عليها فان * ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾ [الرحمن/ ٢٦ ــ ٢٧].
- والموت باب مفتوح، سيدخله كل مخلوق شاء أم أبى. . كبيراً كان أو صغيراً ذكراً أو أنثى. . مؤمناً أو كافراً. . وسيقدم كل مخلوق على ما قدم من عمل كما قال سبحانه. . ﴿كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلَّا متاع الغرور﴾ [آل عمران/١٨٥].
- وليس من الموت مفر. . وإذا حضر الأجل فلن ينفع الدواء. . ولن ترده الحصون، ولا البروج كما قال سبحانه. . ﴿أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة﴾ [النساء/٧٨].
- ولن تموت نفس إلَّا بإذن الله. . وقد قدر الله موت كل نفس زماناً ومكاناً. . كما قال تعالى. . ﴿وما كان لنفس أن تموت إلَّا بإذن الله كتاباً مؤجلاً﴾ [آل عمران/١٤٥].
- ولن يُنظر أحد بعد حلول أجله كما قال سبحانه. . ﴿ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون﴾ [المنافقون/١١].
- وليس لأحد الخلود في هذه الدنيا نبياً كان أو غيره كما قال سبحانه لرسوله ﷺ. . ﴿إنك ميت وإنهم ميتون﴾ [الزمر/٣٠].

- وحياة الخلق كلهم، وموتهم بيد الله وحده. . يحي ويميت وهو على كل شيء قدير. . ﴿هو الذي يحي ويميت فإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون﴾ [غافر/٦٨].

- وإذا حضر أجل الكافر، أرسل الله له ملائكة شداداً لقبض روحه، يضربونه حتى تخرج نفسه الخبيثة. . كما قال سبحانه. . ﴿ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم وذوقوا عذاب الحريق﴾ [الأنفال/٥٠].

- وإذا حضر أجل المسلم، أرسل الله له ملائكة حساناً. . يسلمون عليه ويبشرونه بالجنة. . كما قال سبحانه. . ﴿الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون﴾ [النحل/٣٢].

- وأشد الناس حرصاً على الحياة هم اليهود والمشركون لمحبتهم للدنيا. . وخوفهم مما بعد الموت. . كما قال سبحانه. . في شأن اليهود ﴿ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا يود أحدهم لو يعمر ألف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر والله بصير بما يعملون﴾ [البقرة/٩٦].

- ويكره للمسلم أن يتمنى الموت، إذا نزل به ما يكره. . قال عليه الصلاة والسلام «لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به، فإن كان لا بد متمنياً فليقل اللهم أحيني ما كانت الحياة خيراً لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي»[1].

- والموت مقبل على كل مخلوق مهما ابتعد عنه، أو فر منه كما قال

(١) رواه البخاري برقم ٦٣٥١.

سبحانه . . ﴿قل إن الموت الـذي تفرون منه فإنـه ملاقيكم ثم تـردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون﴾ [الجمعة/٨].

● وإذا مـات الإنسان . . انتهى العمـل . . وبـدأ الحسـاب . . ثم الجـزاء على العمل . . خلود في الجنة . . أو خلود في النار.

قال تعالى : ﴿وأن ليس للإنسان إلاَّ مـا سعى * وأن سعيه سـوف يرى * ثم يجزاه الجزاء الأوفى﴾ [النجم/ ٣٩ ـ ٤٠ ـ ٤١].

● فمن مات مؤمناً دخل الجنة كما قال سبحانه . . ﴿الـذين تتوفـاهم الملائكـة طيبين يقولون سلام عليكم أدخلوا الجنة بما كنتم تعملون﴾ [النحل/٣٢].

● ومن مات كافراً دخل النار كما قال سبحانه . . ﴿إن الذين كفروا وماتوا وهم كفـاراً أولئك عليهم لعنـة الله والملائكـة والناس أجمعين * خـالـدين فيهـا لا يخفف عنهم العذاب ولا هم يُنظرون﴾ [البقرة/١٦١ ـ ١٦٢].

● ● ● ● ●

علامات قيام الساعة

- لا يعلم أحد متى تقوم الساعة إلَّا الله وحده.. كما قال سبحانه.. ﴿يسألك الناس عن الساعة قل إنما علمها عند الله﴾ [الأحزاب/٦٣].
- وسأل جبريل عليه السلام نبينا محمداً ﷺ عن الساعة فقال عليه الصلاة والسلام «ما المسؤل عنها بأعلم من السائل»[(١)].
- ويجب الإيمان بأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الناس سيبعثون للحساب والجزاء.. كما قال سبحانه.. ﴿ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شي قدير * وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور﴾ [الحج/ ٦ ـ ٧].
- ومن لم يؤمن بقيام الساعة فهو كافر يعاقبه الله بنار جهنم يوم القيامة كما قال سبحانه ﴿بل كذبوا بالساعة واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيراً﴾ [الفرقان/١١].
- وإذا كانت الساعة آتية.. فكل آت قريب.. والساعة قد اقترب مجيئها كما قال سبحانه.. ﴿اقتربت الساعة وانشق القمر﴾ [القمر/١].
- وقد أخفى الله وقت قيام الساعة.. ليترقبها الإنسان كل لحظة، ولتجزى كل نفس بما عملت كما قال سبحانه.. ﴿إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى﴾ [طه/١٥].

---

(١) متفق عليه، أخرجه مسلم برقم ٨.

● وإذا كان الله قد أخفى وقت قيام الساعة. . فقد جعل الله للساعة علامات تسبقها، وتدل على قرب وقوعها. . وهي قسمان:

● علامات صغرى: تدل على دنو الساعة وقربها. . ومنها. . رفع الأمانة. . وكثرة المال. . والتطاول في البنيان. . وكثرة الفتن والزلازل. . ورفع العلم. . وشرب الخمر. . والزنا. . والقتل. . وقلة الرجال. . وظهور دجالين كذابين. . وقتال اليهود قال عليه الصلاة والسلام: «إن من أشراط الساعة أن يقل العلم، ويظهر الجهل، ويظهر الزنا. وتكثر النساء، ويقل الرجال حتى يكون للخمسين إمرأة القيم الواحد»[1].

وقال عليه الصلاة والسلام «لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبىء اليهودي من وراء الحجر والشجر فيقول الحجر والشجر يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله إلَّا الغرقد فإنه من شجر اليهود»[2].

● أما علامات الساعة الكبرى: فتكون مقارنة لقيامها. . وتقوم الساعة على أثرها ومنها ما ذكره الرسول ﷺ وبينه لنا. . فقد روى حذيفة بن أسيد قال: اطلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر فقال: «ما تذاكرون؟ قالوا نذكر الساعة. قال إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات فذكر الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم ﷺ، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف، خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم»[3].

● ● ● ● ●

---

(١) رواه البخاري برقم ٨١.

(٢) رواه مسلم برقم ٢٩٢٢.

(٣) رواه مسلم برقم ٢٩٠١.

يوم القيامة

- الدنيا دار العمل. . والآخرة دار الجزاء. . والموت ينقلنا من دار العمل إلى دار الجزاء. .

- والعقل يأبىٰ التسوية بين المطيع والعاصي. . والظالم والمظلوم. والقاتل والمقتول. . فكان مقتضى العدل الإلهي من باب أولى، يأبى التسوية بين الظالم والمظلوم. . والقاتل والمقتول. . والمؤمن والكافر. . والمطيع والعاصي كما قال سبحانه. . ﴿أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض، أم نجعل المتقين كالفجار﴾ [ص/٢٨].

- وفي يوم القيامة يجازي الله كل إنسان بعمله. . فمن عمل صالحاً أثابه الله عليه. . ومن عمل عملاً سيئاً عاقبه الله عليه كما قال سبحانه. . ﴿وأن ليس للإنسان إلَّا ما سعىٰ * وأن سعيه سوف يرى * ثم يجزاه الجزاء الأوفى﴾ [النجم/٣٩ ـ ٤٠ ـ ٤١].

- وقد جعل الله الدور ثلاثاً. . دار خُلِّصت للطيبين وهي الجنة. . ودار خلصت للخبيثين وهي النار. . ودار يشترك فيها الطيب والخبيث وهي دار الدنيا. .

- وإذا مات الإنسان. . انتقل من الحياة الدنيا إلى الآخرة. . ووضع في قبره ليستقر في حياة برزخية إلى أن تقوم الساعة. . يُنعم المؤمن. . ويُعذب الكافر. . كما قال سبحانه عن الكفار. . ﴿النار يعرضون عليها غدواً وعشياً ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب﴾ [غافر/٤٦].

- ثم بعد حياة البرزخ يبعث الله الناس ليوم القيامة كما قال سبحانه ﴿إن يوم الفصل كان ميقاتاً * يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجاً﴾ [النبأ/ ١٧ ـ ١٨].

- والله الذي بدأ الخلق.. لا يعجزه أن يعيده مرة أخرى كما قال سبحانه.. ﴿وهو الذي يبدؤ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وله المثل الأعلى في السمٰوات والأرض وهو العزيز الحكيم﴾ [الروم/٢٧].

- وإذا بعث الله الناس من قبورهم، ساقهم إلى أرض المحشر، حفاة عراة كما خلقهم الله كما قال ﷺ.. «يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلاً.. فقالت عائشة: يا رسول الله، النساء والرجال جميعاً ينظر بعضهم إلى بعض. قال يا عائشة الأمر أكبر من أن ينظر بعضهم إلى بعض»[1].

- ثم يطول مقام الناس في الموقف.. ولا يتكلم أحد إلَّا بإذن الله.. فإذا اشتد الأمر على الناس، طلبوا من الأنبياء الشفاعة عند رب العالمين لفصل القضاء.. وكل الأنبياء يعتذرون.. ثم يأتي الناس محمداً ﷺ.. فيخر ساجداً لربه ويشفع لهم.. فيقبل الله شفاعته، ويقضي بين العباد.

- ثم يعرض الناس على ربهم.. ويجد كل إنسان ما عمل من خير أو شر مكتوباً كما قال سبحانه.. ﴿وعرضوا على ربك صفاً لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعداً * ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلَّا حصاها ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحداً﴾ [الكهف/ ٤٨ ـ ٤٩].

- ويوم القيامة يوم عدل لا ظلم فيه.. وصدق لا كذب فيه.. قال تعالى:

---

(١) متفق عليه، رواه مسلم برقم ٢٨٥٩.

﴿اليوم تجزى كل نفس ما كسبت لا ظلم اليوم إن الله سريع الحساب﴾ [غافر/١٧].

- وإذا كان اللسان في الدنيا يتكلم وحده، وبقية الجوارح صامتة.. فإنه في يوم القيامة، يُختم على اللسان.. وتشهد بقية الجوارح بما عمل الإنسان من خير أو شر كما قال سبحانه.. ﴿اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون﴾ [يس/٦٥].

- وفي يوم القيامة، يأخذ المؤمن كتابه بيمينه.. ويأخذ الكافر كتابه بشماله أو من وراء ظهره.. ثم يضع الله الموازين لوزن الحسنات، والسيئات كما قال سبحانه ﴿ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين﴾ [الأنبياء/٤٧].

- وإذا تم وزن الأعمال.. فمن ثقلت موازينه نجا ودخل الجنة.. ومن خفت موازينه هلك ودخل النار كما قال سبحانه.. ﴿فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون * ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون﴾ [المؤمنون/ ١٠٢ ـ ١٠٣].

- ويقف الناس جميعاً يوم القيامة لفصل القضاء.. وتدنوا منهم الشمس ويأخذهم العرق على قدر أعمالهم.. ويستظل المؤمنون بظل عرش الرحمن يوم لا ظل إلاَّ ظله..

- ولكل نبي حوض يشرب هو وأمته منه قبل دخول الجنة.. وحوض نبينا محمد ﷺ أكبرها، وأعظمها، وأكثرها وارداً. ماؤه أبيض من اللبن، وأحلى من العسل، وأطيب من المسك من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً.

قال النبي ﷺ «حوضي مسيرة شهر، ماؤه أبيض من اللبن، وريحه أطيب

من المسك، وكيزانه كنجوم السماء، من شرب منها فلا يظمأ أبداً»[1].

● ثم يُنصب الصراط على متن جهنم.. ويمر عليه الأولون والآخرون بعد انصرافهم من الموقف.. وأسرع الناس مروراً عليه، أسرعهم وأحسنهم استجابة لله ورسله.. فمنهم من يمر كالبرق، وكالريح، وكعدو الفرس.. ومنهم من يسقط في النار حتى يتطهر من الذنوب، ثم يخرج منها وهم عصاة المؤمنين.. ومنهم من يسقط فيها، ويخلد فيها وهم الكافرون.. كما قال تعالى.. ﴿وإن منكم إلاَّ واردها كان على ربك حتماً مقضياً ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثياً﴾ [مريم/ ٧١ ـ ٧٢].

● ثم يدخل أهل الجنة في الجنة.. ويستقر الكفار في النار.. ويقال يا أهل الجنة خلود فلا موت.. ويا أهل النار خلود فلا موت..

قال عليه الصلاة والسلام.. «إذا صار أهل الجنة إلى الجنة، وصار أهل النار إلى النار، جيء بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار، ثم يذبح، ثم ينادي مناد يا أهل الجنة لا موت، ويا أهل النار لا موت، فيزداد أهل الجنة فرحاً إلى فرحهم، ويزداد أهل النار حزناً إلى حزنهم»[2].

● وحين تنكشف الأعمال يوم القيامة.. تبيض وجوه أهل الإيمان.. وتسود وجوه أهل الكفر، وكل يلقى جزاءه.. كما قال سبحانه.. ﴿يوم تبيض وجوه وتسود وجوه، فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون * وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون﴾ [آل عمران/ ١٠٦ ـ ١٠٧].

● ويوم القيامة تجثوا الأمم كلها بين يدي رب العالمين.. فيقضي الله بينهم ويجزيهم بما عملوا من خيرا أو شر.. كما قال سبحانه.. ﴿ولله ملك

---

(١) أخرجه البخاري برقم ٦٥٧٩.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم ٦٥٤٨.

السمٰوات والأرض ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون * وترى كل أمة جاثية كل أمة تدعى إلى كتابها اليوم تجزون ما كنتم تعملون * هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون﴾ [الجاثية/ ٢٧ ــ ٢٩].

- وهول يوم القيامة عظيم.. يشتد فيه الخوف والفزع.. ويفر الإنسان حتى من أهله وأقاربه.. كما قال سبحانه.. ﴿فإذا جاءت الصاخة * يوم يفر المرء من أخيه * وأمه وأبيه * وصاحبته وبنيه * لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه﴾ [عبس/ ٣٣ ــ ٣٧].
- ويوم القيامة يندم كل من كفر بالله، وأعرض عن دينه.. ولكن لا ينفع الندم ولا الأماني حينئذ.. كما قال تعالى.. ﴿إن الله لعن الكافرين وأعدلهم سعيراً * خالدين فيها أبداً لا يجدون ولياً ولا نصيراً * يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا﴾ [الأحزاب/ ٦٤ ــ ٦٦].
- أما المؤمنون فيفرحون، ويسعدون بالجنات والنعيم الذي أعده الله لهم ويحمدون الله عليه كما قال سبحانه.. ﴿وسيق الذين إتقوا ربهم إلى الجنة زمراً حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين * وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين﴾ [الزمر/ ٧٣ ــ ٧٤].
- ويوم القيامة يكون الملك لله وحده فيشتد الأمر على الكافرين كما قال سبحانه.. ﴿الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يوماً على الكافرين عسيراً﴾ [الفرقان/٦].
- وإذا حكم الله بين الناس يوم القيامة.. جازى كل إنسان بما عمل.. وصار الناس فريقين.. فريق في الجنة.. وفريق في السعير.

● ● ● ● ●

الــجــنــة

- وعد الله سبحانه جميع عباده المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار. . كما قال سبحانه. . ﴿وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك الفوز العظيم﴾ [التوبة/٧٢].

- وقد خلق الله الجنة لعباده المؤمنين. . وخلق فيها من النعيم ما لا عين رأت. . ولا أذن سمعت. . ولا خطر على قلب بشر. . قال عليه الصلاة والسلام «قال الله عز وجل أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر»[1].

وقال سبحانه. . ﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون﴾ [السجدة/١٧].

- والجنة واسعة. . طولها عظيم. . وعرضها كعرض السمٰوات والأرض. .

كما قال سبحانه. . ﴿وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السمٰوات والأرض أعدت للمتقين﴾ [آل عمران/١٣٣].

- وقد وعد الله كل من آمن، وعمل صالحاً بدخول الجنة، ذكراً كان أو أنثى فقال. . ﴿ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيراً﴾ [النساء/١٢٤].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم ٣٢٤٤.

● وكل من مات وهو كافر، أو مشرك فلن يدخل الجنة.. بل يـدخل النـار كما قال سبحانـه.. ﴿إنه من يشـرك بالله فقـد حرم الله عليـه الجنة ومـأواه النار وما للظالمين من أنصار﴾ [المائدة/٧٢].

● والجنة دار الخلود.. ومن دخلها لا يـريد غيـرها.. كمـا قال سبحـانه ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كـانت لهم جنات الفـردوس نزلاً * خـالدين فيها لا يبغون عنها حولا﴾ [الكهف/ ١٠٧ ـ ١٠٨].

● وطعام الجنة دائم.. وظلهـا دائم.. قال تعـالى.. ﴿مثل الجنـة التي وعد المتقون تجري من تحتهـا الأنهار أكلهـا دائم وظلها تلك عقبى الـذين اتقوا وعقبى الكافرين النار﴾ [الرعد/٣٥].

● وكـلام أهل الجنـة طيب، ليس فيه لغـو ولا تأثيم.. كمـا قال سبحـانـه.. ﴿لا يسمعون فيها لغواً ولا تأثيماً * إلَّا قيلًا سلاماً سلاماً﴾ [الـواقعة/ ٢٥ ـ ٢٦].

● وشراب أهل الجنة لذيذ الطعم.. مختلف اللون والنوع.. كما قال سبحانه ﴿مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من مـاء غير آسن، وأنهـار من لبن لم يتغيـر طعمه، وأنهـار من خمر لـذة للشاربين، وأنهـار من عسـل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم﴾ [محمد/١٥].

وقوله سبحانه.. ﴿إن الأبرار يشربون من كأس كـان مزاجهـا كافـوراً * عيناً يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيراً﴾ [الإنسان/ ٥ ـ ٦].

● وطعام أهل الجنة طيب لذيذ.. ذكره الله بقوله.. ﴿وفاكهة مما يتخيرون * ولحم طير مما يشتهون﴾ [الواقعة/ ٢٠ ـ ٢١].

● وحُلي أهـل الجنـة من الـذهب والفضـة واللؤلؤ.. كمـا قـال الله سبحـانـه

﴿جنـات عـدن يـدخلونهـا يحلون فيهـا من أسـاور من ذهب ولـؤلؤاً﴾ [فاطر/٣٣].

وقوله سبحانه. . ﴿وحلوا أساور من فضة﴾ [الإنسان/٢١].

● وفـرش أهل الجنـة ظاهـرها في منتهى الجمـال. . وبطائنهـا من الاستبرق، وهو ما غلظ من الديباج المزين بالـذهب. . كما قـال سبحانـه. . ﴿متكئين على فرش بطائنها من استبرق وجنى الجنتين دان﴾ [الرحمن/٥٤].

● وأزواج أهل الجنة من الحور العين، إلى جانب زوجاتهم في الدنيـا. . كما قـال سبحـانـه. . ﴿متكئين على سـرر مصفـوفـة وزوجنـاهم بحـور عين﴾ [الطور/٢٠].

وقوله سبحانه. . ﴿وعندهم قاصـرات الطرف عين * كـأنهن بيض مكنون﴾ [الصافات/ ٤٨ ـ ٤٩].

● ولبـاس أهل الجنـة الحريـر. . والسندس. . والاستبـرق كما قـال سبحـانـه ﴿ولباسهم فيها حرير﴾ [فاطر/٣٣].

وقوله سبحانه. . ﴿إن المتقين في مقام أمين * في جنات وعيـون * يلبسون من سندس واستبرق متقابلين﴾ [الدخان/ ٥١ ـ ٥٣].

● وخدم أهل الجنة ولدان مخلدون. . حسان الوجوه. . كما قـال سبحانـه. . ﴿ويـطوف عليهم ولـدان مخـلدون إذا رأيتـهم حسبتـم لـؤلؤاً مـنثـوراً﴾ [الإنسان/١٩].

● وأواني أهـل الجنة من الـذهب والفضـة. . ويقـدم لهم الـطعـام والشـراب بصحاف وأكواب من الذهب والفضة. . كما قال سبحانه. . ﴿أدخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون * يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب، وفيهـا ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وهم فيها خالدون﴾ [الزخرف/ ٧٠ ـ ٧١].

● وحياة أهل الجنة في جو طيب معتدل. . لا حرارة ولا برودة. كما قال سبحانه. . ﴿متكئين فيها على الأرائك لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً﴾ [الإنسان/١٣].

● وإذا دخل المؤمن الجنة. . وله ذرية دونة في العمل. . رفعهم الله إليه لتكتمل سعادته بهم كما قال سبحانه. . ﴿والذين آمنوا وأتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء كل أمرىء بما كسب رهين﴾ [الطور/٢١].

● وقد وصف الله الجنة وأهلها بقوله سبحانه. . ﴿وجوه يومئذ ناعمة * لسعيها راضية * في جنة عالية * لا تسمع فيها لاغية * فيها عين جارية * فيها سرر مرفوعة * وأكواب موضوعة * ونمارق مصفوفة * وزرابي مبثوثة﴾ [الغاشية/ ٨ ـ ١٦].

● وكل من آمن بالله واتقاه، أكرمه الله يوم القيامة بالخلود في الجنة كما قال سبحانه. . ﴿هذا ذكر وإن للمتقين لحسن مآب * جنات عدن مفتحة لهم الأبواب * متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب * وعندهم قاصرات الطرف أتراب * هذا ما توعدون ليوم الحساب * إن هذا لرزقنا ماله من نفاد﴾ [ص/٤٩ ـ ٥٤].

● وأول زمرة يدخلون الجنة، على صورة القمر ليلة البدر كما قال عليه الصلاة والسلام «أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والذين يلونهم على أشد كوكب دري في السماء إضاءة، لا يبولون، ولا يتغوطون، ولا يمتخطون، ولا يتفلون، أمشاطهم الذهب، ورشحهم المسك، ومجامرهم الألوة، وأزواجهم الحور العين، على خلق رجل واحد، على صورة أبيهم آدم ستون ذراعاً في السماء»[١].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم ٣٣٢٧.

- وأهل الجنة يرون ربهم يوم القيامة كما قال سبحانه.. ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾ [القيامة/ ٢٢ ــ ٢٣].
- وأهل الجنة الذين يستحقونها هم المؤمنون بالله ورسوله، ولهم صفات من اتصف بها دخل الجنة وقد ذكرها الله بقوله سبحانه.. ﴿قد أفلح المؤمنون * الذين هم في صلاتهم خاشعون * والذين هم عن اللغو معرضون * والذين هم للزكاة فاعلون * والذين هم لفروجهم حافظون * إلَّا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين * فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون * والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون * والذين هم على صلواتهم يحافظون * أولئك هم الوارثون * الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون﴾ [المؤمنون/ ١ ــ ١١].
- اللهم اجعلنا منهم.. وارزقنا وجميع المسلمين الجنة بغير حساب..

● ● ● ● ●

النـــار

- وعد الله جميع الكفار بنار جهنم يوم القيامة كما قال سبحانه.. ﴿وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هي حسبهم ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم﴾ [التوبة/٦٨].

- وقد خلق الله النار.. وخلق فيها من ألوان العذاب لكل من كفر بالله أو عصاه.. كما قال سبحانه: ﴿إنا أعتدنا جهنم للكافرين نزلاً﴾ [الكهف/١٠٢].

- ويُحشر الكفار إلى جهنم عمياً وبكماً وصماً.. فإذا دخلوها أحرقتهم.. وكلما طفئت زادها الله إشتعالاً كما قال سبحانه.. ﴿ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عمياً وبكماً وصماً مأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيراً﴾ [الإسراء/٩٧].

- ويوم القيامة.. يُنصب الصراط على متن جهنم.. ويمر عليه جميع الناس.. المؤمنون والكافرون.. ثم ينجي الله المؤمنين.. ويسقط فيها الكافرون والعصاة.. فإذا تطهر العصاة من ذنوبهم خرجوا من النار وبقي فيها الكفار كما قال سبحانه.. ﴿وإن منكم إلاَّ واردها كان على ربك حتماً مقضياً ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثياً﴾ [مريم/ ٧١ ـ ٧٢].

- وإبليس وذريته وأتباعه كلهم في جهنم.. كما قال سبحانه لإبليس ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلاَّ من اتبعك من الغاوين * وإن جهنم

لموعدهم أجمعين * لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم﴾ [الحجر/ ٤٢ ــ ٤٤].

● وجميع الأقوال، والأفعال مكتوبة في صحائف الأعمال.. خيراً كانت أو شراً.. وسيراها الناس يوم القيامة، ويجازون بما فيها من عمل كما قال سبحانه.. ﴿يومئذ يصدر الناس أشتاتاً ليروا أعمالهم * فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره * ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾ [الزلزلة/ ٦ ــ ٧ ــ ٨].

● وإذا حكم الله وحده يوم القيامة فلن يُظلم أحد.. كما قال سبحانه.. ﴿لا ظلم اليوم إن الله سريع الحساب﴾ [غافر/١٧].

● وقد جمع الله في جهنم ألوان العذاب.. كما قال سبحانه.. ﴿إن لدينا أنكالاً وجحيماً * وطعاماً ذا غصة وعذاباً أليماً﴾ [المزمل/ ١٢ ــ ١٣].

● ونار جهنم تغلي بالكفار يوم القيامة.. وتكاد تتقطع غضباً عليهم لمعصيتهم رب العالمين كما قال سبحانه.. ﴿إذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقاً وهي تفور * تكاد تميز من الغيظ﴾ [الملك/ ٧ ــ ٨].

● ووقود النار يوم القيامة الكفار والعصاة.. وكذلك الحجارة كما قال سبحانه.. ﴿يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة﴾ [التحريم/٦].

● وخزنة النار ملائكة، نزع الله من قلوبهم الرحمة.. تركيبهم في غاية الشدة.. سود الوجوه.. يعملون بأمر ربهم.. كما قال سبحانه عن النار.. ﴿عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون﴾ [التحريم/٦].

● وطعام أهل النار الزقوم الشديد المرارة والحرارة.. والضريع الذي لا يسمن ولا يغني من جوع.. كما قال سبحانه.. ﴿إن شجرة الزقوم طعام الأثيم كالمهل يغلي في البطون كغلي الحميم﴾ [الدخان/ ٤٣ ــ ٤٦].

- وأهل النار لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً. . يساقون إلى العذاب ولا حيلة لهم كما قال سبحانه. . ﴿خذوه فاعتلوه إلى سواء الجحيم * ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم﴾ [الدخان/ ٤٧ ـ ٤٨].

وقال سبحانه. . ﴿وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا﴾ [الزمر/٧١].

- وشراب أهل النار. . حميم حار يقطع الأمعاء. . وصديد تعافه النفوس وغساق بارد منتن. . كما قال سبحانه عن أهل النار. . ﴿وسقوا ماءً حميماً فقطع أمعاءهم﴾ [محمد/١٥].

وقوله سبحانه عن الكافر ﴿من ورائه جهنم ويُسقىٰ من ماء صديد * يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت ومن ورائه عذاب غليظ﴾ [إبراهيم/ ١٦ ـ ١٧].

وقوله سبحانه. . ﴿لا يذوقون فيها برداً ولا شراباً إلَّا حميماً وغساقاً﴾ [إبراهيم/١٧].

- وماء الغسل في النار يَصهر البطون والجلود. . كما قال سبحانه. . ﴿يصب من فوق رؤسهم الحميم * يصهر به ما في بطونهم والجلود﴾ [الحج/ ١٩ ـ ٢٠].

- وثياب أهل النار مقطعة من نار. . كما قال سبحانه. . ﴿فالذين كفروا قُطِّعت لهم ثياب من نار﴾ [الحج/١٩].

- وإذا أراد أهل النار الخروج منها. . ضربتهم ملائكة العذاب بالمقامع. . وردهم لهيب النار كما قال سبحانه. . ﴿ولهم مقامع من حديد كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق﴾ [الحج/٢٢].

- وسرابيل أهل النار من القطران كما قال سبحانه. . ﴿سرابيلهم من قطران﴾ [إبراهيم/٥٠].

- وأبـدان أهل النـار كبيرة. . يـزيدهـا الله طولاً، وعـرضاً، لينـال كـل عضـو جزاءه. . كما قال عليه الصـلاة والسلام. . «ضـرس الكافـر أو ناب الكـافر مثل أحد، وغلظ جلده مسيرة ثلاث»(١).

- ونار جهنم أشد من نـار الدنيـا. . ونار الـدنيا جـزء من سبعين جزءاً من نـار جهنم. . كما قال ﷺ. . «ناركم جزء من سبعين جـزءاً من نار جهنم، قيـل يا رسول الله إن كانت لكافية، قال: فضلت عليهن بتسعة وستين جزءاً كلهن مثل حرِّها»(٢).

- ومن يصنـع التماثيـل. . أو يصور ذوات الأرواح يعـذب في جهنم كما قـال عليه الصلاة والسلام. . «الذين يصنعـون الصور يعـذبون يـوم القيامـة يقال لهم أحيوا ما خلقتم»(٣).

- وأهل النار مخلدون في العـذاب يوم القيـامة. . فـلا موت ولا نجـاة. . كما قال سبحانه. . ﴿إن الذين كفـروا بآيـاتنا سـوف نصليهم ناراً كلمـا نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العـذاب إن الله كان عـزيزاً حكيمـاً﴾ [النساء/٥٦].

- وفي يـوم القيـامـة، يـوم العـدل والصـدق، تشهـد أسمـاع أهــل النـار. . وأبصارهم. . وجلودهم بكل ما عملوا. . كما قـال سبحانـه: ﴿ويوم يحشـر أعداء الله إلى النار فهم يوزعون * حتى إذا ما جاءوهـا شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كـانوا يعملون * وقـالوا لجلودهم لم شهـدتم علينا

---

(١) رواه مسلم برقم ٢٨٥١.
(٢) رواه البخاري برقم ٣٢٦٥.
(٣) رواه مسلم برقم ٢١٠٨.

قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون﴾ [فصلت/ ١٩ ــ ٢١].

● وأهل النار مخلدون فيها.. لهم زفير وشهيق كما قال سبحانه.. ﴿فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق * خالدين فيها ما دامت السمٰوات والأرض إلاَّ ما شاء ربك إن ربك فعال لما يريد﴾ [هود/ ١٠٦ ــ ١٠٧].

● وإذا أصاب أهل النار الجوع والعطش، نادوا أهل الجنة ليغيثوهم فلا يجدون من يستجيب لهم كما قال سبحانه.. ﴿ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا إن الله حرمها على الكافرين * الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعباً وغرتهم الحياة الدنيا﴾ [الأعراف/ ٥٠ ــ ٥١].

● وإذا دخل أهل النار النار، طلب الضعفاء من سادتهم وكبرائهم أن يكفوا عنهم العذاب كما وعدوهم في الدنيا، ولكنهم لا يستطيعون إنقاذ أنفسهم فكيف ينقذون غيرهم كما قال سبحانه.. ﴿وإذ يتحاجون في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعاً فهل أنتم مغنون عنا نصيباً من النار قال الذين استكبروا إنا كل فيها إن الله قد حكم بين العباد﴾ [غافر/٤٨].

● وإذا قضى الله بين العباد.. ودخل الكفار في النار، قام فيهم إبليس لعنه الله خطيباً ليزيدهم حزناً إلى حزنهم.. وحسرة إلى حسرتهم.. فيتبرأ منهم.. كما قال سبحانه.. ﴿وقال الشيطان لما قضى الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلاَّ أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي إني كفرت بما أشركتمون من قبل إن الظالمين لهم عذاب أليم﴾ [إبراهيم/٢٢].

- والله سبحانه لا يظلم مثقال ذرة.. فكما أن أهل الجنة يتفاوتون في النعيم وهم درجات، فكذلك أهل النار يتفاوتون في العذاب.. ولكل واحد من أهل النار، حد معلوم على قدر عصيانه وذنبه.. كما قال سبحانه.. ﴿إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار﴾ [النساء/١٤٥].

- وأهون أهل النار عذاباً، رجل منتعل بنعلين من نار يغلي منهما دماغه كما قال عليه الصلاة والسلام: «إن أدنى أهل النار عذاباً ينتعل بنعلين من نار يغلي منهما دماغه من حرارة نعليه»[1].

- وإذا دخل الكفار نار جهنم.. صارت النار من فوقهم، ومن تحتهم.. واسودت وجوههم.. تغلي بهم النار.. ويغشاهم العذاب من كل مكان.. طعامهم نار.. وشرابهم نار.. ولباسهم نار.. ولهم فيها زفير وشهيق.

- فإذا اشتد كربهم وعذابهم، نادوا خزنة جهنم ليخففوا عنهم من العذاب كما قال سبحانه.. ﴿وقال الذين في النار لخزنة جهنم إدعوا ربكم يخفف عنا يوماً من العذاب * قالوا أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين إلاَّ في ضلال﴾ [غافر/ ٤٩ ـ ٥٠].

- فإذا يئس الكفار من خزنة جهنم، ذهبوا إلى مالك خازن النار ﴿ونادوا يا مالك ليقضي علينا ربك قال إنكم ماكثون * لقد جئناكم بالحق ولكن أكثركم للحق كارهون﴾ [الزخرف/ ٧٧ ـ ٧٨].

- ثم يفزع الكفار إلى ربهم ليخرجهم من النار قائلين.. ﴿ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون * قال اخسئوا فيها ولا تكلمون﴾ [المؤمنون/ ١٠٧ ـ ١٠٨].

---

(١) رواه مسلم برقم ٢١١.

● ثم بعد ذلك يفقد الكفار كل أمل في الخروج من النار.. ويأخذون في الزفير، والشهيق، والبكاء، والحسرة إلى الأبد كما قال سبحانه ﴿لهم فيها زفير وشهيق * خالدين فيها ما دامت السمٰوات والأرض إلاَّ ما شاء ربك إن ربك فعال لما يريد﴾ [هود/ ١٠٦ ـ ١٠٧].

● عياذاً بالله من غضب الله وعقوبته..

اللهم ارزقنا الجنة.. وأجرنا من النار.. أنت مولانا.. فنعم المولى.. ونعم النصير..

● ● ● ● ●

دعــاء

- اللهم أنت ربـي لا إلـه إلاَّ أنت . . خلقتني وأنا عبـدك . . وأنـا على عهـدك ووعدك ما استطعت . . أبوء لك بنعمتك علي . . وأبوء بذنبـي فاغفر لي إنـه لا يغفر الذنوب إلاَّ أنت .
- اللهم حبب إلينـا الإيمان . . وزينـه في قلوبنا . . وكـره إلينا الكفـر الفسـوق والعصيان . . واجعلنا من الراشدين . .
- اللهم إنـا نعـوذ بـك من علم لا ينفـع . . ومن قلب لا يخشـع . . ومن نفس لا تشبع . . ومن دعوة لا يستجاب لها .
- اللهم إنا نعوذ بك من زوال نعمتك . . وتحول عافيتك . . وفجاءة نقمتك . . وجميع سخطك .
- اللهم إنا نعوذ برضاك من سخطك . . وبمعافاتك من عقوبتك . . ونعـوذ بك منك . . لا نحصى ثناء عليك . . أنت كما أثنيت على نفسك .
- اللهم إنا نعوذ بك من شر ما عملنا . . ومن شر ما لم نعمل .
- اللهم إنا نعوذ بك من عذاب جهنم . . ونعـوذ بك من عـذاب القبر . . ومن فتنة المسيح الدجال . . ومن فتنة المحيا والممات .
- اللهم إنـا نعوذ بـك من العجـز والكسـل والجبن والبخـل . . وضلع الـدين وغلبة الرجال .
- اللهم إنـا نعوذ بـك من جهد البـلاء . . ودرك الشقـاء . . وسـوء القضـاء . . وشماتة الأعداء . .

- اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا. . وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا. . وأصلح لنا آخرتنا التي إليها معادنا. . واجعل الحياة زيادة لنا في كل خير. . واجعل الموت راحة لنا من كل شر. .

- اللهم إنا نسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى.

- اللهم آت نفوسنا تقواها. . وزكها أنت خير من زكاها. . أنت وليها ومولاها. .

- اللهم اغفر لنا ذنوبنا، واسرافنا في أمرنا، وثبت أقدامنا. . وانصرنا على القوم الكافرين.

- اللهم لك اسلمنا. . وبك آمنا. . وعليك توكلنا. . وإليك أنبنا وبك خاصمنا. . وإليك حاكمنا. . فاغفر لنا ما قدمنا ما أخرنا. . وما أسررنا وما أعلنا. . أنت المقدم. . وأنت المؤخر، لا إله إلَّا أنت. . ولا حول ولا قوة إلَّا بك.

- اللهم إنا نسألك من الخير كله عاجله وآجله. . ما علمنا منه، وما لم نعلم. . ونعوذ بك من الشر كله. . عاجله وآجله. . ما علمنا منه. . وما لم نعلم.

- اللهم إنا نسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل. . ونعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل.

- اللهم إنا نسألك من خير ما سألك منه نبيك محمد ﷺ. . ونعوذ بك من شر ما استعاذ منه نبيك محمد ﷺ.

- اللهم صلِّ على محمد. . وعلى آل محمد. . كما صليت على إبراهيم. . وعلى آل إبراهيم. . إنك حميد مجيد.

- اللهم بـارك على محمد. . وعلى آل محمـد. . كمـا بـاركت على إبـراهيم وعلى آل إبراهيم. . إنك حميد مجيد.
- اللهم انصر دينك وكتابك وسنة نبيك محمد ﷺ.
- اللهم أعز الإسلام والمسلمين. . وانصر عبادك المـوحدين. . وأذل الشـرك والمشركين.
- ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين.
- ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا. . ربنا إنك رؤف رحيم.
- ربنـا لا تزغ قلوبنـا بعد إذ هـديتنا. . وهب لنـا من لدنـك رحمة إنـك أنت الوهاب.
- ربنا آمنا بما أنزلت. . واتبعنا الرسول. . فاكتبنا مع الشاهدين.
- ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا. . ربنا ولا تحمل علينـا أصراً كمـا حملته على الذين من قبلنا. . ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا. . واعف عنا واغفر لنا وارحمنا. . أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين.
- ربنا آتنا في الدنيا حسنة. . وفي الآخرة حسنة. . وقنا عـذاب النار، وصـل اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.
- سبحان ربك رب العزة عما يصفون. . وسلام على المـرسلين، والحمد لله رب العالمين.

فرغ منه مؤلفه بعون الله وتوفيقه يوم الثلاثاء الثالث عشـر من شهر صفـر من عام ألف وأربعمائة وثلاثة عشر من هجرة المصطفى ﷺ.

● ● ● ● ●

أهم المراجع

١ ـ القرآن الكريم.

٢ ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم.

٣ ـ المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي.

٤ ـ تفسير ابن كثير.

٥ ـ تفسير جامع البيان لابن جرير الطبري.

٦ ـ التفسير الكبير للفخر الرازي.

٧ ـ تفسير القرآن الحكيم للإمام محمد رشيد رضا.

٨ ـ تفسير القاسمي.

٩ ـ تفسير الجامع لأحكام القرآن للقرطبي.

١٠ ـ تفسير كلام المنان للسعدي.

١١ ـ اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان.

١٢ ـ صحيح البخاري.

١٣ ـ صحيح مسلم.

١٤ ـ سنن الترمذي.

١٥ ـ سنن النسائي.

١٦ ـ سنن أبي داود.

١٧ ـ سنن ابن ماجه.

١٨ ـ زاد المعاد لابن القيم.

١٩ ـ فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية.

٢٠ ـ أعلام الموقعين لابن القيم.

٢١ ـ الأدب المفرد للبخاري.

٢٢ ـ رياض الصالحين للنووي.

● ● ● ● ●

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

● ● ● ● ●